جامعة قطر
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني
دراسة تحليلية نقدية

أعدت بواسطة
محمد عبد الرحيم طحان

قدمت هذه الأطروحة كأحد المتطلبات
في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن

يناير ٢٠١٧م

© ٢٠١٧. محمد عبد الرحيم طحان.
جميع الحقوق محفوظة

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدمة منكم، وَوُفِقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه. وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءاً من امتحان الطالب.

الاسم: أ.د يوسف محمود الصديقي/ مشرفاً ومقرراً.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٦/١٠/٢٦م.

الاسم: أ.د أحمد حسن فرحات/ مناقشاً خارجياً.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٦/١٠/٢٦م.

الاسم: أ.د عز الدين معميش/ مناقشاً داخلياً.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٦/١٠/٢٦م.

تمت الموافقة:

الملخَّص

تناول هذا البحث قضية تطبيق المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني، وذلك من خلال بيان الأسس العلمية الثابتة التي من خلالها يفهم الكلام عموماً، ونصوص الوحي خصوصاً، وكيف طبقت هذه الحقائق فجاءت بأفضل النتائج، وكيف نشأ الانحراف في فهم خطاب القرآن الكريم، عند إهمال تطبيق الحقائق في فهم الخطاب القرآني، وقد ذكرت أمثلة تبين نتيجة الانحراف عن الطريق الصحيح لفهم الخطاب القرآني، ثم بينت العلاقة بين العقل والوحي، وأن كلا منهما له دور منوط به يجب ألا يتجاوزه.

وقد تنوعت المناهج العلمية المستخدمة في عرض ما تضمنه هذا البحث، بسبب طبيعة موضوعه وما يصبو لتحقيقه من أهداف، ما بين المنهج الاستقرائي في جمع ما يتعلق بالموضوع من خلال استقراء كلام دعاة الحداثة فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وباستقراء ما كتب وقيل عن التفكيكية، وتعريفها، وكيف نشأت، وتتبع جذورها التاريخية، ثم كيف وصلت إلى العالم العربي، ومن ثم تحليل كلام دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم، وبيان ما يترتب على أقوالهم من نتائج خطيرة، ومن ثم نقد تلك الأقوال والأفكار وفق الضوابط العلمية.

وقد خلص الباحث إلى أن المنهجية التفكيكية ما هي إلا تكرار، لكلام السوفسطائية بصورة أخرى، وأن الخطاب القرآني مقدس ولا يخضع للنظريات والفلسفات البشرية، ولا يمكن فهمه إلا من خلال حقائق وضوابط علمية ثابتة، لا تتغير مهما طال الزمان أو أختلف المكان. وأن أي ادعاء لمفاهيم لا تنطلق من الطريق الصحيح لفهم القرآن الكريم فهي باطلة ومردودة على أصحابها، ولا ارتباط لها بالخطاب القرآني، وما هدف دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم إلا تفريغ القرآن الكريم من مضامينه ومعانيه، وتحويله من كتاب هداية وإرشاد للبشرية كلها إلى نص أدبي يمكن لأي أحد التلاعب به ليكون كالكتب السابقة المحرفة وبالتالي يقضى على الإسلام.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	ح
المقدمة	١
التمهيد	١٢
المبحث الأول: الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام	١٥
المطلب الأول: تعريف الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام	١٦
المطلب الثاني: طريقة فهم الكلام حسب هذه الحقائق بإحكام	١٨
المطلب الثالث: تطبيق تلك الحقائق في تفسير القرآن الكريم وفهمه	٢٠
المبحث الثاني: أنواع الخطأ الناتج عن الاجتهاد البشري	٢٥
المطلب الأول: حكم من تسور على تفسير كلام الله الجليل من غير عدة	٣٠
المطلب الثاني: أمثلة على أنواع المتسورين على علم التفسير	٣٢
المطلب الثالث: العقل والوحي والعلاقة بينهما	٥١
الفصل الأول: المنهجية التفكيكية من المدلول إلى الآثار	٥٨
المبحث الأول: مدلول التفكيكية ونشأتها	٦٠
المطلب الأول: مدلول التفكيكية	٦١
المطلب الثاني: نشأة التفكيكية	٦٧
المبحث الثاني: منطلقات التفكيكية وآثارها على الخطاب القرآني	٧٩
المطلب الأول: منطلقات التفكيكية	٨٠
المطلب الثاني: آثار توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل القرآن الكريم	٩٠
الفصل الثاني: نقد توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني	١٠٨

المبحث الأول: نقد المنهجية التفكيكية من خلال بيان مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه	١٠٩
المطلب الأول: مفهوم الخطاب القرآني	١١٠
المطلب الثاني: خصائص الخطاب القرآني	١١٥
المبحث الثاني: نقد المنهجية التفكيكية من خلال أصول فهم الخطاب القرآني	١٢٢
المطلب الأول: أصل معهود القرآن الكريم في الخطاب	١٢٣
المطلب الثاني: أصل معهود العرب في الخطاب	١٢٦
المطلب الثالث: أصل الفهم وفق دلالات عصر النزول	١٣٠
المطلب الرابع: أصل اعتماد السياق والمعاني الكلية	١٣٤
المبحث الثالث: أسس بطلان المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني	١٣٧
المطلب الأول: المنهجية التفكيكية تنفي الغيبيات مطلقاً	١٣٨
المطلب الثاني: المنهجية التفكيكية خارجة عن الأصول العلمية والقواعد اللغوية	١٤٦
المطلب الثالث: المنهجية التفكيكية تقليد أعمى	١٥٢
الخاتمة	١٥٧
قائمة المصادر والمراجع	١٦٠

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على أن أعانني ووفقني لإتمام هذا العمل، وأسأله القبول والسداد وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وبعد شكر الله سبحانه وتعالى أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لسيدي الوالد الكريم الذي كان بعد توفيق الله سبب توفيقي ونجاحي في أموري كلها، والذي أفاض عليَّ من علمه الغزير، وساعدني في إتمام هذا البحث، كما أشكر والدتي الكريمة التي كانت تدفعني للنجاح والتقدم بتشجيعها ودعواتها المباركة، أسأل الله أن يمد في أعمارهما على طاعته وأن يجعل جزاءهما جنات النعيم على ما قدموه لي.

ثم خالص الشكر والتقدير لعميد كلية الشريعة فضيلة الأستاذ الدكتور/ يوسف محمود الصديقي الذي قبل تكرماً منه الإشراف على هذا البحث، والذي لم يبخل عليَّ بوقته رغم كثرة مهامه، وبتوجيهاته القيمة ونصائحه المفيدة في كل المجالات سواء فيما يتعلق بالبحث أو بالحياة العملية، فجزاه الله عني كل خير وأسأل الله أن يحفظه، وأن ينفع به، ويؤيد به الحق إنه على كل شي قدير.

والشكر موصول لمشايخي الكرام وأساتذتي الأجلاء، وكل من علمني وساعدني في إتمام هذا العمل، وأسأل الله أن يجزيهم عني خيراً، وأن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى، وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأسأله سبحانه أن يجمعنا في جنات النعيم مع نبينا الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، إنه أكرم الأكرمين سبحانه وتعالى.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فمن رحمة الله الكريم، أن خصَّ هذه الأمة بخاتم النبيين – صلى الله عليه وآله وسلم– كما شرفها بكتابه الكريم، وفيه الهداية للتي هي أقوم بيقين، وقد بلغ نبينا الأمين صلى الله عليه وآله وسلم لصحابته الكرام رضي الله عنهم ما أُنزل إليهم من ربهم جل وعلا تلاوةً وتفسيراً، فقد آتاه الله الكريم القرآن العظيم ومثله معه[1] يعني سنته الشريفة، حيث كان جبريل عليه السلام ينزل على نبينا – عليه الصلاة والسلام – بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن[2].

وقام الصحابة الكرام – رضي الله عنهم وأرضاهم – بما يجب عليهم خير قيام، فآزروا رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم – ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه وحفظوه، وبلغوه لمن بعدهم وفسروه، فلهم أجرهم وأجر من جاء بعدهم – رضي الله عنهم وأرضاهم – وهكذا قام التابعون لهم بإحسان بالمهمة خير قيام، ولن تزال تلك العناية بكلام الرحمن تلاوةً وتفسيراً ما تعاقب الملوان[3].

وكانت تظهر بين الفينة والأخرى ولازالت، أصوات نشاز، تتخبط في تفسير كلام ربنا العزيز الوهاب، وازداد ذلك في عصور انحطاط المسلمين، وبعد الثورة الفكرية في أوروبا وظهور نظريات ومدارس فلسفية كثيرة، تأثر بها كثير من المثقفين في العالم الإسلامي وحاولوا نقلها

---

(١) كما ثبت في سنن الإمام أبي داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، ج٥، ص١٠ عن المقدام بن معد يكرب – رضي الله عنه — عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج٤، ص١٣١، بلفظ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه" الحديث.

(٢) قال ذلك التابعي الجليل حسان بن عطية كما في **سنن الإمام الدارمي** في المقدمة – باب السنة قاضية على كتاب الله تعالى، ج١، ص١٤٤، وعن الإمام الأوزاعي مثله، كما في كتاب الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقه**،ج١، ص٩١.

(٣) هما الليل والنهار. كما في ابن منظور، **لسان العرب**، فصل الميم من حرف الواو والياء، ج٢٠، ص١٦٠.

وتطبيقها على التراث الإسلامي كله، بما فيها القرآن الكريم، متجاهلين الفروق الكبيرة بين التراث الإسلامي والفكر الغربي، ومن تلك المدارس، المنهجية التفكيكية، وهي "منهاج أدبي نقدي ومذهب فلسفي معاصر يذهب إلى القول باستحالة الوصول إلى فهم متكامل أو على الأقل متماسك للنص أيا كان، فعملية القراءة والتفسير هي عملية اصطناعية محضة يقوم بها القارئ الذي يقوم بالتفسير وبالتالي يستحيل وجود نص ذو رسالة واحدة متماسكة ومتجانسة"(١).

إن التفكيكية تتأسس على أنه من حق كل عصر أن يعيد تفسير الماضي ويقدم تفسيره الذي يرسم طريق المستقبل، وهذا منهج هدام خطير في قراءة النصوص وتفسيرها، قائم على التشكيك في الثوابت واليقينيات، وعلى زعزعة الثقة في أي خطاب أو نص، سواء أكان هذا النص سماويا، أم بشرياً، وحياً من رب العالمين، أم كلاماً للناس.

ومن أبرز ملامح النظرية التفكيكية:

- إنه لا يوجد تناسق وانسجام وانضباط بين جميع النصوص، بل هي مفككة متنافرة، وهي تحتوي على عناصر تمزيق، أو نقاط قطع، تُدرك حين تُفحص بدقة بقراءات أخرى، قراءات تضع المعنى الواضح في الظاهر، أو الحتمي، أو المألوف موضع التساؤل.
- تدعو التفكيكية إلى الفصل بين الدال ومدلوله وما يتولد عنه، أي أن العلاقة بين اللفظ أو الكلمة، ومعناها، والمفهوم منها علاقة غير ثابتة ولا يقينية، وإنما هو معتمد على ما يفهمه المتلقي من هذا اللفظ، عندما يقارنه بألفاظ أخرى.
- كما تدعو التفكيكية إلى ما يسمى لا نهائية القراءة، أي إن النص يحتمل عددًا غير نهائي من التفسيرات والتأويلات، على عدد قرائه ومفسريه الذين يتناولونه.

---

(١) عبد الحميد، علي عبد الواحد، **النظرية التفكيكية نظرة عن قرب**، ص٤.

- ترى المنهجية التفكيكية بعدم التسليم بشيء مطلقاً بل يجب إخضاع كل شيء للمنهج التفكيكي.
- السماح بتعدد التفسيرات انطلاقاً من وصف المعنى بالاستفاضة، وعدم الخضوع لحالة مستقرة.
- تعتمد التفكيكية على رفض كل ما هو غيبي لاهوتي يقول د.غسان السيد: "لقد جاءت اللّحظة الحداثويّة الأوربيّة التي نقلت الإنسان من واقعٍ إلى واقعٍ آخر مختلفٍ تخلخلت فيه كل الثوابت السائدة التي جمدت العقل البشري لقرونٍ طويلة. فتشكل وعي جديدٌ معارضٌ بصورٍ كليةٍ للوعي اللاهوتي الذي أراد توحيد العالم حول مركزٍ عقائديٍ موحدٍ يتجسد فيه المعنى الوحيد للحقيقة التي لا تقبل النقاش" (١).
- تعطي التفكيكية السلطة الحقيقية للقارئ في استخراج المعنى وفهم النص لا للمؤلف، وتقتل أحادية الدلالة، وتدعو إلى تشتت المعنى وقطع العلاقة بين النص والمعنى.
- انطلقت التفكيكية من التشكيك في العلم ثم تحولت إلى الشك في كل شيء.

إذاً فالنظرية التفكيكية تعول على القارئ وحده، لا على النص، ولا على المؤلف، ولا على مصدر النص، ولا على مناسبته، وملابسات تأليفه، فالقارئ وحده هو السلطان يفعل بالنص ما يشاء، ويؤوله كما يرى، وهكذا تضيع حقيقة النصوص في هذه المنهجية غير المنضبطة بقوانين العقل وموازين البحث العلمي الصحيح.

سلبيات المنهجية التفكيكية:

- في المنهجية التفكيكية يفكك القارئ النص وفق آليات تفكيره وهواه دون ضوابط أو أحكام.

---

(١) السيد، غسان، **التفكيكية والنقد العربي الحديث**، مجلة الموقف الأدبي، ع٤٢٦، ص٦.

- يهدم القارئ ويقوض المنطق الذي يحكم النص.
- تقوم التفكيكية على رفض كل غيبي.
- إن التفكيكية خارجة عن القواعد والأصول العلمية، والمعايير النحوية واللغوية.
- تجعل التفكيكية النص مفتوحاً لكل قارئ يفسره كيف يشاء، ولا يوجد تفسير محدد للنص القرآني عند التفكيكيين، بل يمكن لكل قارئ أن يفسر نصوص القرآن على ما يفهمه.
- لا يوجد في المنهجية التفكيكية نص مقدس غير خاضع لمنهجهم.

وحرصا مني على تحليل هذه المنهجية ودراسة إمكانية توظيفها في تحليل القرآن الكريم، اجتهدت في طرح هذا البحث، والذي أشرف عليه وساعدني فيه فضيلة الأستاذ الدكتور/ يوسف الصديقي حفظه الله ورعاه، وأيَّد به الحق، سائلاً الله الكريم الجواد التوفيق والسداد، وإني لأرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى إماطة اللثام عن الوجه الحقيقي للمنهجية التفكيكية، وبيان الآثار الخطيرة المترتبة على تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم، إنه جواد كريم.

أسباب اختيار الموضوع:

١. رغم أهمية الموضوع وخطورة تطبيق المنهجية التفكيكية على النص القرآني إلا أنه لا توجد دراسات وافية عنه تناولته بشكل كافٍ وشاملٍ لكل الجوانب.
٢. للمنهجية التفكيكية أثر واضح في طرح القراء المعاصرين لتفسير القرآن الكريم، وللتفسيرات الخاطئة والمغلوطة في فهم القرآن الكريم لدى الغرب.
٣. الحرص على دراسة هذه النظرية وفهمها فهما جيداً والإلمام بها.
٤. إبراز الخلط الكبير الذي وقع فيه كثير ممن تأثروا بنظريات الغرب، حيث أرادوا تطبيق هذه النظريات على القرآن الكريم المحفوظ، كما طبقها الغرب على التوراة والإنجيل المحرفين.

٥. إقامة البرهان على أن القرآن لا يخضع للأدوات البشرية ومناهج العلوم الإنسانية التي لا تتوافق مع طبيعته الربانية.

إشكالية البحث:

من خلال ما سبق يتبين مدى انحطاط المناهج النقدية الغربية عموماً والتفكيكية خصوصاً، وخطورة تطبيقها على القرآن الكريم، وتعد هذه المسألة من النوازل، وخاصةً بعد محاولة من تسوروا علم التفسير من أصحاب القراءة المعاصرة غير المؤهلين، تطبيق تلك المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم في العصر الحديث، ومن هنا تتلخص إشكالية البحث في بيان ماهية المنهجية التفكيكية، وبيان فسادها، وعدم ملائمة تطبيقها على القرآن الكريم.

الأسئلة التي سيجيب عنها البحث:

- ما المنهجية التفكيكية، وما المرتكزات التي تقوم عليها؟
- ما مدى إمكانية توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل النصوص القرآنية؟
- ما الآثار المترتبة على توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل النصوص القرآنية؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في الأمور الآتية:

١. كون هذا الموضوع يتعلق بأشرف كتاب وهو القرآن الكريم، والدفاع عنه ضد شبه الزائغين وضلالاتهم.
٢. يتناول البحث هذه المسألة بصورة واضحة ومبسطة وشاملةٍ لكل جوانبها، مبيناً فسادها وبطلان القول بها من عدة وجوه معتبرة.

٣. صلة البحث بأمرين لهما أهمية كبرى، وهما: حفظ الدين الصحيح، والعقل الصريح، لأن الشريعة الإسلامية جاءت بحفظهما، والمنهجية التفكيكية تهاجم الدين والعقل وتحاول إلغاءهما.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على بيان المنهجية التفكيكية بياناً شاملاً لأهم أفكارها، وقواعدها، ومنطلقاتها، بعيداً عن الخلافات الفلسفية في كثير من الأمور والمصطلحات، ثم بيان سبب بطلان تطبيقها على القرآن الكريم، والرد عليها بالقواعد العلمية والضوابط الشرعية، فيما يتعلق بتطبيقها على القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

وقفت على دراساتٍ وبحوثٍ ومقالاتٍ منشورةٍ تحمل عنوان التفكيكية، ولكنها بحوثٌ خاصة في تعريف التفكيكية ونشأتها ورجالها ونقدها، وليس لها تعلق بموضوع تطبيقها على النص القرآني، وآثار هذا التطبيق، ومن هذه الدراسات:

١. بحث بعنوان "النظرية التفكيكية نظرة عن قرب" للباحث/ علي عبدالواحد عبد الحليم.

هذا البحث يلقي الضوء على النظرية التفكيكية من حيث نشأتها ومصطلحاتها ومفهومها باختصار، والفرق ظاهر بين عنوان بحثي وبين هذا البحث، فبحثي يقوم على بحث النظرية التفكيكية في تحليلها للخطاب القرآني، وبيان ما يترتب عليها، مع الرد عليها من خلال أصول التفسير ومناهج المفسرين الراسخين.

٢. التفكيكية من الفلسفة إلى النقد الأدبي. بحث صغير للباحث/ ممدوح الشيخ.

وقد عرض في هذا البحث أهم ملامح النظرية التفكيكية باختصار، والفرق واضح بين بحثي وهذا المقال، لأن بحثي سيلقي الضوء على خطورة النظرية التفكيكية في تطبيقها على النصوص القرآنية. بناء على الأصول العلمية.

٣. بحث بعنوان " القراءة التفكيكية" للباحثة/ فاطمة زهرة اسماعيل.

وهو بحث منشور في المجلة الثقافية المسماة (عود الند)[١]، تناولت الباحثة النظرية التفكيكية باختصار منذ بداية نشأتها وانتهاء بتأثر المثقفين العرب بها. والفرق واضح بين بحثي وهذا البحث، حيث إن هذا البحث مختصر وقد تناول جانباً من جوانب النظرية التفكيكة باختصار منذ نشأتها وأبرز رموزها دون التطرق لتأثير تطبيقها على القرآن الكريم.

التعليق العام على الدراسات السابقة:

معظم الدراسات التي تناولت المنهجية التفكيكية تناولتها لأحد هدفين رئيسين مهمين وهما:

- إما لشرحها وتبينها كأي حدث بشري، كالحديث عن نظريات علم النفس.
- وإما لنقدها من خلال اللغة والفلسفة فقط، دون التطرق للحديث عن فسادها وعدم صلاحيتها للتطبيق على التراث الإسلامي عموماً والقرآن الكريم خصوصاً.

ونادراً ما توجد بحوثٌ أو مقالات قد تناولت تأثير تطبيق هذه المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم خصوصاً، والتراث الإسلامي عموماً، واللغة العربية العريقة أيضاً، وإن وجدت فلم تنل حظها من الشهرة والانتشار.

---

(١) إسماعيل، فاطمة زهرة، **القراء التفكيكية**، ع٧٩.

منهج البحث:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على الجمع بين عدد من المناهج العلمية التي ارتأيت ملاءمتها لطبيعة البحث، والمتمثلة في المناهج الآتية:

١. **المنهج الاستقرائي**، حيث سأتتبع ماله علاقة بالمنهجية التفكيكية، وأجمع ما كتب فيها لبيان حقيقتها من ألسنة مؤسسيها.
٢. **المنهج التحليلي**، سأستخدم هذا المنهج في تحليل المنهجية التفكيكية وأدواتها وعرض الأفكار وتحليلها.
٣. **المنهج النقدي**، سأستخدم هذا المنهج في نقد المنهجية التفكيكية في ضوء الضوابط والمعايير العلمية، وبيان مدى عدم ملاءمتها للتطبيق على القرآن الكريم.
٤. **المنهج التاريخي**، حيث سأتتبع جذور المنهجية التفكيكية التاريخية منذ نشأتها إلى حين وصولها للعالم العربي.

خطة البحث

تم تقسيم هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس وذلك على النحو الآتي:

المقدمة

وتتضمن المقدمة أهمية الموضوع والتعريف به، وأسباب اختياره، والأسئلة التي يجيب عنها البحث، وإشكاليته، ومنهجيته العلمية مع عرض للدراسات السابقة للموضوع، ثم بيان خطة البحث وتقسيماته.

التمهيد

وسأتحدث فيه عن طريقة فهم الكلام عموماً، وكلام الله الجليل خصوصاً، وأنواع الخطأ البشري، وأقسام من اقتحم علم التفسير سواء كانت عنده أهلية لذلك أم لا، وكيف انحرف من انحرف وصولاً إلى المدارس الفلسفية ومنها المنهجية التفكيكية، وذلك وفق التقسيم التالي:

المبحث الأول: الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام.

المطلب الثاني: طريقة فهم الكلام حسب هذه الحقائق بإحكام.

المطلب الثالث: تطبيق تلك الحقائق في تفسير القرآن الكريم وفهمه.

المبحث الثاني: أنواع الخطأ الناتج عن الاجتهاد البشري.

المطلب الأول: حكم من تسور على تفسير كلام الله الجليل.

المطلب الثاني: أمثلة على أنواع المتسورين على علم التفسير.

المطلب الثالث: العقل والوحي والعلاقة بينهما.

الفصل الأول

المنهجية التفكيكية من المدلول إلى الآثار

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مدلول التفكيكية ونشأتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مدلول التفكيكية

المطلب الثاني: نشأة التفكيكية

المبحث الثاني: منطلقات التفكيكية وآثارها على الخطاب القرآني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منطلقات التفكيكية

المطلب الثاني: آثار توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل القرآن الكريم

الفصل الثاني

نقد توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نقد المنهجية التفكيكية من خلال بيان مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الخطاب القرآني

المطلب الثاني: خصائص الخطاب القرآني

المبحث الثاني: نقد المنهجية التفكيكية من خلال أصول فهم الخطاب القرآني.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أصل معهود القرآن الكريم في الخطاب

المطلب الثاني: أصل معهود العرب في الخطاب

المطلب الثالث: أصل الفهم وفق دلالات عصر النزول

المطلب الرابع: أصل اعتماد السياق والمعاني الكلية

المبحث الثالث: أسس بطلان المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المنهجية التفكيكية تنفي الغيبيات مطلقاً.

المطلب الثاني: المنهجية التفكيكية خارجة عن الأصول العلمية والقواعد اللغوية.

المطلب الثالث: المنهجية التفكيكية تقليد أعمى.

الخاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد

الحمد لله الحي القيوم، الذي أنزل كتابه قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون، وجعله مهيمناً على غيره من الكتب وحجة على الخلق إلى يوم يبعثون.

والصلاة والسلام على رسولنا الهادي الأمين خاتم النبيين، الذي بعثه الله الكريم رحمة للعالمين، وخصه بكتابه العزيز الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وهو أعظم معجزة منذ أن وجد الخلق إلى يوم الدين، ففيه – كما روي عن رسولنا الأمين، صلوات الله وسلامه عليه – «نبأُ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى، في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرَّدّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ (سورة الجن: ١-٢). من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم»[1].

وقد حباه أكرم الأكرمين مع تلك المعجزة القاهرة بالسنة المطهرة، فأحاديثه محكمة باهرة، وكل منهما وحي يهدي للتي هي أقوم في الدنيا والآخرة، كما أخبر رسولنا الأمين أفصح الخلق وأنصحهم، وأتقاهم لله وأعلمهم – صلى الله عليه وسلم – فقال: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو مُتكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناه، وإن ما حرَّم رسول الله كما

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في **السنن**، كتاب ثواب القرآن، باب فضل القرآن، ج٥، ص١٧٢، رقم: (٢٩٠٦)، وهو في **جامع الأصول**، ج٨، ص٤٦١-٤٦٢، رقم: (٦٢٣١).

وإسناد الحديث ضعيف كما أشار إلى ذلك الإمام الترمذي، بقوله: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث الأعور مقال"، لكن للحديث شاهدان يرتفع بهما إلى درجة الحسن كما هو مقرر عند أئمتنا الكرام. الشاهد الأول من رواية معاذ بن جبل – رضي الله عنه –، والثاني من رواية عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – مرفوعاً وموقوفاً. وتقرير ذلك وتفصيله في: ابن كثير، **فضائل القرآن**، ج١٠، ص١٢.

حرَّم الله» هذه رواية الإمام الترمذي – رحمه الله –، وفي رواية الإمام أبي داود قال: قال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم –«ألا إني أوتيت هذا الكتاب، ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحلُّ لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم، فعليهم أن يُقرُوه، فإن لم يُقرُوه فله أن يعاقبهم بمثل قِراه»[1]، قال التابعيان الجليلان، الإمام حسان بن عطية، والإمام الأوزاعي – رحمهما الله –: كان جبريل – على نبينا وعليه صلاة الله وسلامه – ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن[2].

نعم إن الوحي نوعان: وحي متلو، يجب مراعاة نظمه، وهو القرآن الكريم. ووحي غير متلو، وهو سنة نبينا عليه الصلاة والسلام. ومن المعلوم قطعاً أن هذين النوعين عربيان، كما أنهما على العرب وغيرهم جديدان، قال ذو الجلال والإكرام: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يونس: ١٥-١٦). "والآية الكريمة الثانية فيها مبالغة في التبرئة مما طلبوا منه أي أن تلاوته عليهم هذا القرآن إنما هو بمشيئة الله تعالى واحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلدة فيها علماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحاً يبهر كل فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم، مشحوناً بعلومٍ من علوم الأصول والفروع، وأخبار ما كان وما يكون، ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها

(١) أخرجه الترمذي في **السنن**، باب: (٦٠)، رقم: (٢٦٦٦)، والإمام أحمد في **المسند**، ج٤، ص١٣١، وأخرجه ابو داود في **السنن**، باب لزوم السنة، رقم: (٤٦٠٤). والحديث في **جامع الأصول**، ج١، ص٢٨١، رقم: (٦٨).
(٢) سبق تخريج الأثر في ص١.

إلا الله تعالى، وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفاً من ذلك، ولا عرفه به أحد من أقرب الناس إليه، وألصقهم به. ومفعول شاء محذوف أي: قل لو شاء الله أن لا أتلوه، وجاء جواب لو على الفصيح من عدم إتيان اللام لكونه منفياً بما، ويقال دريت به، وأدريت زيداً به، والمعنى ولا أعلمكم به على لساني"[1]. وفي قراءة سبعية للإمام ابن كثير – رحمه الله – (ولأدراكم به) بحذف الألف بعد اللام، فدخلت اللام على فعل مثبت معطوف على منفي، والمعنى: ولأعلمكم به من غير طريقي، وعلى لسان غيري، ولكنه يمنُّ على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة، ورآني لها أهلاً دون الناس[2]. ولما تقدم فإن هذا الكتاب المعجز لا يمكن فهمه إلا وفق الحقائق التي يفهم الكلام بها، وقد انحرف من انحرف في فهم القرآن الكريم وجاء بالأباطيل بسبب عدم مراعاته للحقائق التي من خلالها يفهم الكلام، وهذا ما سيتبين بالتفصيل من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام.

المبحث الثاني: أنواع الخطأ الناتج عن الاجتهاد البشري.

---

(١) أبي حيان، **التفسير الكبير (البحر المحيط)**، ج٥، ص١٣٢.

(٢) انفرد الإمام ابن كثير بهذه القراءة، كما في (ابن الجزري، **تقريب النشر**، ص١٢٢). وتوجيهها مأخوذ من تفسير الإمام أبي حيان.

المبحث الأول

الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام

من المعلوم يقيناً أن لهذين النوعين من الوحي (القرآن والسنة) اصطلاحاً خاصاً لا يعرف إلا بهما ومن قِبلهما، فاجتمعت في هذا الوحي بنوعيه حقيقتان: الأولى: وضعية لغوية. والثانية: دينية شرعية. وهناك حقيقة ثالثة، وهي عرفية اصطلاحية.

فالحقائق ثلاثة: وضعية لغوية، وشرعية دينية، وعرفية اصطلاحية[1]. وتعود هذه الحقائق الثلاثة في فهمها وعند الاستدلال بها إلى أربعة أشكال، ينبغي أن يعيها كل دارس لشرع ذي العزة والجلال، بل يجب مراعاة هذه الحقائق في فهم أي مقال، صوناً لأنفسنا من الخطأ والضلال، وحذراً من تلبيس فرق الضلال، في الماضي والحاضر والاستقبال، لئلا نخدع بتمشدقهم في نزاهة البحث وحرية الاستدلال، فما هم إلا في وهم وخيال، زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فصدهم عن الحق والكمال، أجارنا الله من المضلين في كل حال، فهم الأكثر عدداً كما أخبر من يستوي عنده الجهر والإسرار فقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١١٦-١١٧). وسيتضح المراد بهذه الحقائق، وكيفية الفهم من خلالها وتطبيقها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام.

المطلب الثاني: طريقة فهم الكلام حسب هذه الحقائق بإحكام.

المطلب الثالث: تطبيق الحقائق في تفسير القرآن الكريم وفهمه.

---

(١) أما الحقيقة العقلية فلا صلة لها بمبحث فهم الكلام، وإنما تذكر في فنِّ البيان، وهي: إسناد الفعل لمن هو له في اعتقاد المتكلم. كقول الموحد: أنبت الله البقل، وكقول الدهري: أنبت الربيع البقل.

المطلب الأول

تعريف الحقائق التي من خلالها يفهم الكلام

الحقيقة الأولى:- وهي الأسبق وجوداً - حقيقة وضعية، وهي الحقيقة اللغوية. وهي استعمال اللفظ فيما وضع له أصالة، كاستعمال الرجل في الإنسان الذكر، واستعمال المرأة في الإنسان الأنثى.

الحقيقة الثانية: تابعة للأولى، لكن استعمال اللفظ وقع فيما وضع له فرعاً وتبعاً، لعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي، مع قرينة معتبرة صارفة عن المعنى الحقيقي. وهذا هو المعروف بالمجاز حيث وجدت علاقة بين المعنى الحقيقي الظاهر الراجح للكلام، وبين معناه الفرعي الخفي المرجوح، وقامت قرينة معتبرة على امتناع الأول وتعين الثاني، كما لو قلت: رأيت أسداً يخطب خطبة بليغة في ساحة القتال. فلا يراد من الأسد الحيوان المفترس وهو معناه الموضوع له في الأصل، إنما يتعين حمله على مجاهد شجاع يشبه الأسود في قوته، وهو معناه الفرعي. وهذه الدلالة وضعية لغوية باتفاق، لكن محل الخلاف والافتراق هل يسمى هذا الاستعمال حقيقة أو مجازاً ؟ فالخلاف لفظي، ولا ينبني عليه أثر حقيقي.

الحقيقة الثالثة: الدينية الشرعية. وهي كما في مراقي السعود:

وما أفاد لاسمه النبيُّ[1] لا الوضعُ مطلقاً هو الشرعي

قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: "يعني أن الحقيقة الشرعية هي: ما استُفيدت تسميتها من جهة الشرع لا من مطلق الوضع اللغوي، فالصوم — مثلاً — سُمي به إمساك البطن والفرج عن شهوتيهما بنية من الفجر إلى الغروب، وهذه التسمية غير مستفادة من مطلق الوضع، لأن الوضع لا يخص الصوم بذلك الإمساك دون غيره من سائر الإمساكات، وإنما استُفيد خصوصه به وانصرافه إليه عند الإطلاق من جهة الشارع"[2].

---

(١) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

(٢) الشنقيطي، **نثر الورود شرح مراقي السعود**، ج١، ص١٣٠.

الحقيقة الرابعة: العرفية، وهي: أن يخصص عرف الاستعمال ما دل عليه اللفظ لغة ببعض مسمياته الوضعية. كتخصيص اسم الدابة بذوات الأربع، مع أنه في الوضع لكل ما يدب على الأرض.

والخلاصة: أن حقائق الكلام ودلالاته أربعة:

- أولها: وضعية لغوية، وهي استعمال اللفظ فيما وضع له حقيقة.
- ثانيها: وضعية لغوية مجازية، وهي استعمال اللفظ فيما وضع له تبعاً.
- ثالثها: دينية شرعية، وهي استعمال اللفظ فيما وضع له من قبل الشرع.
- رابعها: عرفية اصطلاحية، وهي استعمال اللفظ فيما وضع له من قبل العرف.

ووجه انحصارها في هذه الأقسام الأربعة: "أن اللفظ إمَّا أن يبقى على أصل وضعه، أو يغير عنه، فإن غُيِّر فلا بد أن يكون ذلك التغيير من قِبل الشرع، أو من قِبل عرف الاستعمال، أو من قِبل استعمال اللفظ في غير موضعه لعلاقة بقرينة، فالأول الوضعية، والثاني الشرعية، والثالث العرفية، والرابع المجاز"[1].

(١) الشنقيطي، **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر**، ص٢٧٤.

المطلب الثاني

طريقة فهم الكلام حسب هذه الحقائق بإحكام

لفهم الكلام حسب هذه الحقائق طريقتان متتاليتان:

الطريقة الأولى: إذا قامت قرينة معتبرة، ودلت الأدلة على تعين واحدة من هذه الحقائق يتعين المصير إليها، وحمل الكلام عليها. مثال ذلك، إذا شوش مشوش كالنصارى عباد الصلبان، ومن لف لفهم على أهل الإسلام، بأن الله متعدد في القرآن، لتصريحه بصيغة الجمع في وصف ربنا الرحمن من أمثال قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩). يكون الجواب الذي لا جواب غيره: إن ذلك للتعظيم لربنا العظيم، وذلك وضع لغوي، سليم مجازاً وحقيقة عند العلماء الراسخين، وهو مقطوع به في الدين، فالله – جل ثناؤه – أحد بيقين، وذلك ينفي الألوهية عن عباده المساكين، بأحكم وأوضح البراهين.

الطريقة الثانية: عند الإطلاق، وعدم وجود قرينة تتعين الحقيقة بلا نزاع، فينبغي حمل الكلام على الترتيب الآتي بين الحقائق بانتظام.

أولاً: تقدم الحقيقة الدينية الشرعية في بيان المراد بالكلام عند أئمة الإسلام عدا فقيه الملة أبا حنيفة النعمان – رحمهم الله جميعاً – فتقدم عنده الحقيقة اللغوية الوضعية لأنها هي الأصل ولها قصب السبق. وحجة الجمهور، أن الحقيقة الشرعية مع الحقيقة اللغوية كالخاص مع العام فتقدم، ويضاف إلى ذلك أيضاً أن الخطاب الشرعي مسوق أصالة لبيان الحقيقة الشرعية، فهو معهود الخطاب الديني.

ثانياً: الحقيقة العرفية، يجب حمل الخطاب عليها إن لم يكن في اللفظ استعمال شرعي خاص.

ثالثاً: الحقيقة اللغوية، الحقيقة الأصلية يحمل عليها الخطاب إن لم يوجد في اللفظ اصطلاح شرعي، ولا عرفي. وتقدم عند بيان الأمر الأول بيان الخلاف في ذلك.

رابعاً: الحقيقة اللغوية الفرعية التبعية، وهي المعروفة بالمجاز عند تعذر الحمل على الحقيقة الأصلية.

ثم إن الخطاب الذي لا يخرج عن الحقائق الأربعة المتقدمة له ثلاثة أحوال ليس غير. وهي إما نص، أو ظاهر، أو مجمل. وبرهان حصره في هذه الأقسام: أن الكلام له ثلاثة أحوال:

أولها: يحتمل معنى واحداً فقط فهو نص. فلا يعدل عنه إلا بنسخ.

ثانيها: يحتمل معنيين فأكثر، فإن كان في أحد المعاني أظهر، فهو الظاهر، ومقابله المحتمل المرجوح. فلا يعدل عن الظاهر إلا بدليل على قصد المحتمل المرجوح. وهذا هو التأويل.

ثالثها: يحتمل معنيين فأكثر، ولا رجحان لأحد المعاني، فهو المجمل. فيتوقف فيه عن العمل به، إلا بدليل يعين المراد منه[1].

(١) تقرير ذلك وتفصيله انظر: الشنقيطي، **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر**، ص٢٧٢-٢٧٤.

المبحث الثالث

تطبيق تلك الحقائق في تفسير وفهم القرآن الكريم

فإن قيل: هل لتلك الحقائق السديدة، والطرق الرشيدة، وجود في تفسير الآيات الكريمة المجيدة؟! نعم بالتأكيد، فقد التزم سلفنا الكرام بذلك الميزان، وسار على نهجهم أهل الهدي والعرفان، ففسروا القرآن الكريم بالنقل الصحيح، ولسان العرب الفصيح، وضموا إليهما اجتهاد العقل الصريح، فكانوا حقاً للهدى مصابيح. وإليك طريقهم باختصار، لتعلم أنهم هم المهتدون الأخيار.

أولا: فسروا القرآن الكريم بالقرآن وهذا أجل أنواع التفسير وأشرفُها، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله – جل وعلا – من الله – تبارك وتعالى – فصاحب البيت أدرى بمافيه، فما أُجمل في مكان فقد فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر، فالأخذ بذلك هو مقتضى البدهية المقررة، وفوق ذلك هو مقتضى المعلوم من الدين بالضرورة، إذ القرآن الكريم هو الأصل الأول، والعماد المتين لهذا الدين، ولا يمكن تحقق الإيمان دون الأخذ بجميع ما فيه جملة وتفصيلاً[1].

ثانياً: فسروا القرآن الكريم بالسنة الشريفة. قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: "فإن أعياك ذلك – أي تفسير القرآن بالقرآن – فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي – عليه رحمة الله تعالى –: كل ما حكم به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو مما فهمه من القرآن. – ثم قال – والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ – رضي الله عنه – حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيي.

---

(١) انظر تفصيل ذلك وتوضيحه في: ابن تيمية، **دقائق التفسير** ج١، ص٧٦. **ومجموع الفتاوى**، ج١٣، ص٣٦٣. الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج١، ص٣.

فضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله»"[1].

ثالثاً: فسروا القرآن الكريم بأقوال الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – فهم أخبر الناس بالتنزيل، وأكثرهم عرب خلص حضروا التنزيل، ولهم من الفهم والعلم ما ليس لمن سواهم، هذا فيما ليس لقولهم حكم المرفوع، أما ما له حكم المرفوع فهو ملحق بالرتبة الثانية[2].

رابعاً: فسروا القرآن الكريم بأقوال التابعين، ولأقوالهم أربعة أحوال، ينبغي أن تكون من طالب العلم على بال.

أولها: ما أجمعوا عليه، يجب الأخذ به لمكان الإجماع.

ثانيها: ما كان لقولهم حكم الرفع، وذلك إن لم يدرك بالرأي، فيقبل بأحد شرطين:

١. أن يكون قائله من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة الكرام.
٢. أن يتعزز بمرسل آخر (بقول تابعي أخر)[3].

ثالثهاً: إذا كان لقول التابعي في تفسير كلام الله – جل وعلا – حكم المرسل لكن لم يتعزز بمرسل آخر، ولم يكن قائله من أئمة التفسير الذين أخذوا تفسيرهم عن الصحابة الكرام، فهو أيضاً حجة عند جمهور علماء الإسلام، منهم فقيه الملة الإمام أبو حنيفة، وإمام

---

(١) الحديث الشريف أخرجه الإمام أحمد، في **المسند**، ج٥، ص٢٣٦-٢٤٢، وأخرجه الخطيب، في **كتاب الفقيه والمتفقه**، ج٢، ص١٨٨-١٨٩، وفيه يقرر الإمام الخطيب البغدادي – رحمه الله – صحته لتقبل العلماء له وتلقيه بالقبول، كما هو مسلكهم في نظائره من الأحاديث التي تلقاها الكافة عن الكافة، وصححه الإمام ابن القيم – رحمه الله – في **إعلام الموقعين**، ج١، ص٢٠٢ - ٢٠٣، والحديث في **جامع الأصول**، ج١٠، ص١٧٧، رقم: (٧٦٧٣). وكلام الإمام ابن كثير في مقدمة **التفسير**، ج١، ص٣-٤.

(٢) كما في: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٣، ص٣٦٤، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٣-٤، والزركشي، في **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص١٥٧، والسيوطي، في **الإتقان في علوم القرآن**، ج٤، ص٢٠٨.

(٣) كما في: السيوطي، **الإتقان**، ج١، ص١١٧، و**تدريب الراوي**، ص١١٦.

دار الهجرة الإمام مالك، وإمام أهل السنة الإمام أحمد، وأتباعهم وغيرهم – رحمهم الله جميعاً – بل قال الإمام الطبري – رحمه الله –: "أجمع التابعون بأسرهم على قبول المرسل، ولم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين". قال الإمام ابن عبد البر – رحمه الله –: "كأنه يعني أن الإمام الشافعي أول من رده"[1].

رابعها: أن يكون قولهم في التفسير على خلاف ما تقدم من الأحوال الثلاثة، فهذا ليس حجة على غيرهم على الصحيح، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: "إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، ثم نقل عن سفيان الثوري أنه قال: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. ثم نقل عن شعبة بن الحجاج أنه قال: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، ثم قال: فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك[2].

خامساً: فسروا القرآن الكريم باللسان العربي المبين، وهو لسانهم بيقين، وبه نزل القرآن الحكيم، ومعرفة اللغة العربية، معنى وإعراباً وأسلوباً، شرط لازم فيمن يريد تفسير كلام الله الكريم. قال مفسر التابعين مجاهد بن جبر – رحمه الله –: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يتكلم في كتاب الله – جل وعلا – إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[3]، وقال الأصمعي: "تعلموا النحو، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة واحدة، كانت مشددة

---

(١) كما في: السيوطي، **تدريب الراوي**، ص١٢٠. وكلام الإمام الشافعي في شروط قبول المرسل، في: الشافعي، **الرسالة**، ص٤٦١-٤٦٤.

(٢) انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٤-٥، وهو مأخوذ من مقدمة شيخه ابن تيمية في التفسير بالحرف، انظر ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٣، ص٣٦٨ فما بعدها، و**دقائق التفسير**، ج١، ص٨١-٨٢.

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٩٢.

فخففوها، قال الله – جل وعلا –: (يا عيسى إني ولّدْتك) فقرأوا: (يا عيسى إني ولدتك) مخففاً فكفروا"[1].

نعم وهذا ما حصل في من ضل في هذه الأمة، جهلوا اللغة العربية والآثار الشرعية، وطالبوا بتطبيق المناهج الغربية، فكفروا برب البرية. قال الإمام الشافعي – رحمه الله –: "إن عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب"[2]، ولذلك قال الإمام مالك – رحمه الله –: "لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كلام الله – جل وعلا – إلا جعلته نكالاً"[3]، وعلق الإمام الواحدي – رحمه الله – في مقدمة تفسيره البسيط على الآثار المتقدمة بقوله: "وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة في فصاحة ألفاظه، وبعد أغراضه، ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد السماء بلا جناح"[4].

سادساً: فسروا كلام الله المجيد بالاجتهاد السديد، فكشفوا عن وجوه هدايته، كما وضحوا أنواع إعجازه، واستنبطوا منه أحكام ما جدّ لهم من وقائع في حياتهم، ولن تزال كذلك بركات كتاب الله الجليل، على كل جيل، ولا يحيط بأسرار التنزيل إلا اللطيف الخبير، فعلم التفسير لم يحترق، بل لم ينضج بيقين، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين[5]. وهذا النوع من التفسير متفق على جوازه وحسنه بشرط المحافظة على ما تقدم من الأمور الخمسة، فهو نتيجة التدبر لكتاب الله، المأمورين به في كتاب الله – جل وعلا – من أمثال قول الله – عز وجل –: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (سورة ص: ٢٩)، وقوله – جل وعلا –: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: ٨٢)، وهو نتيجة الاستنباط

---

(١) ابن حبان، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، ص٢٢١.

(٢) الواحدي، **التفسير البسيط**، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص٤١١.

(٤) المرجع السابق، ج١، ص٤١١.

(٥) كما في: ابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار شرح متن تنوير الأبصار**، ج١، ص٤٩.

الذي اختص الله به أهل العلم، وأمرنا برد ما أشكل علينا إليهم، قال – جل وعلا –: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ (سورة النساء: ٨٣)، وقد دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس – رضي الله عنهما – بقوله: «اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل»[(١)]، ولا يتعارض هذا مع ما ثبت عن نبينا – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»، وفي رواية «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[(٢)]، لأن ذلك فيمن تكلم برأيه وهواه من غير علم، أما من استنبط معناه بحمله على الأصول المتفق عليها فهو ممدوح[(٣)].

وخلاصة الكلام في هذا المقام أن التفسير بالرأي نوعان:

الأول: جائز محمود، وهو ما كان عن اجتهاد مبني على علم بالأثر، ونظر معتبر.

الثاني: حرام مذموم، وهو ما كان عن هوى النفس، والرأي المجرد للشخص.

فمن أجاز التفسير بالرأي واستحسنه أراد الأول، ومن منعه واستقبحه أراد الثاني، والحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً. كما هو معلوم.

---

(١) الحديث الشريف من رواية ابن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج١، ص٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥، وأخرجه الحاكم في **المستدرك**، كتاب معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٣٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) الحديث الشريف من رواية ابن عباس – رضي الله عنهما – أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج١، ص٢٣٣، ٢٦٩، وأخرجه الإمام الترمذي في **السنن**، باب الذي يفسر القرآن برأيه، ج٥، ص٢٠٠، رقم: (٢٩٥٢)، وقال الإمام الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) كما في مقدمة ابن عطية، **المحرر الوجيز**، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١، ص٣٢. وغيرهما من كتب التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثاني

أنواع الخطأ الناتج عن الاجتهاد البشري

نعم إن جهد البشر لا يخلو من خطأ، لكن من أخلص لله وصدق، وأعد العدة المطلوبة للوصول إلى الحق، ثم بذل ما في وسعه للوصول إلى مراد ربه، فهو بين حسنيين، إن أصاب فسعيه مشكور، وله أجران عند العزيز الغفور، وإن أخطأ فخطؤه مغفور، وهو على جهده مأجور، والله كريم غفور، كما ثبت في المسند والصحيحين وغيرهما من رواية عمرو بن العاص – رضي الله عنه – عن نبينا – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر»[1]، لكن الخطأ له حالتان:

الحالة الأولى: إذا احتمله الدليل وقال به إمام جليل فليس من الأباطيل، وينبغي أن يرتفع عنه القال والقيل، لكن لا مانع من المناقشة بالدليل، والله الجليل هو وحده العالم بالمصيب والمخطئ وإليه المصير، كما هو الحال في المذاهب الأربعة المتبعة وفيها ما يتقابل سلباً وإيجاباً نفياً وإثباتاً، "وقد أجمعت الأمة على أن كلاً منها يجوز العمل به، وانحصر الحق في أقاويلهم". كما هو نص الإمام ابن هبيرة[2] – رحمه الله –، ومستند هذا إقرار النبي – صلى الله عليه وسلم – لما يشبه هذا، ففي الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – «لما رجع من الأحزاب قال: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، ففقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد ذلك منا، فذُكر ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج٤، ص١٩٨، ٢٠٤. والإمام البخاري في **صحيحه**، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم: (٧٣٥٢). والإمام مسلم في **صحيحه**، رقم: (١٧١٦). وهو في **جامع الأصول**، ج١٠، ص١٧١، رقم: (٧٦٦٢).

(٢) ابن هبيرة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، ج٢، ص٣٤٣.

– فلم يعنِّف أحداً منهم»[1]. وفي مثل هذا يقول شيخ الإسلام الإمام ابن قدامة – رحمه الله – في مقدمة كتابه (المغني): "جعل الله هذه الأمة مع علمائها كالأمم الخالية مع أنبيائها، وأظهر في كل طبقة من فقهائها أئمة يقتدى بها، وينتهى إلى رأيها، وجعل في سلف هذه الأمة أئمة من الاعلام مهد بهم قواعد الاسلام، وأوضح بهم مشكلات الأحكام، اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة، تحيا القلوب بأخبارهم، وتحصل السعادة باقتفاء آثارهم، ثم اختص منهم نفراً أعلى قدرهم ومناصبهم، وأبقى ذكرهم ومذاهبهم فعلى أقوالهم مدار الأحكام وبمذاهبهم يفتي فقهاء الإسلام"[2]، وقال بعده شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجة قاطعة. واختلافهم رحمة واسعة. وكان عمر بن عبد العزيز يقول: ما يسرني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً. وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا، ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة.

ولهذا قال العلماء المصنفون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصحاب الشافعي وغيره: إن مثل هذه المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية، فمن تبين له صحةُ أحد القولين تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر، فلا إنكار عليه"[3]، وللإمام الخطابي – رحمه الله – كلام جد نفيس في وجوب سعة الصدر نحو الاختلاف المحمود وتقرير كونه رحمة عظيمة من ربنا المعبود[4].

الحالة الثانية: إذا جانب الخطأ الصواب، فهو من قبيل الزلل بلا ارتياب، فيرد على قائله مع الاستغفار له، ولا يجوز اتباعه في ذلك. قال شيخ الإسلام الإمام سليمان التميمي– رحمه الله –: "لو أخذت برخصة كل عالم، أو زلة كل عالم، اجتمع فيك الشر

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، رقم: (٩٤٦، ٤١١٩). والإمام مسلم في **صحيحه**، رقم: (١٧٧٠)، وهو في **جامع الأصول**، ج٨، ص٢٧٦، رقم: (٦٠٩٦).

(٢) ابن قدامه، **المغني**، ج١، ص٤–٥.

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٣٠، ص٨٠.

(٤) قرر ذلك في كتابه النفيس **أعلام الحديث**، ج١، ص٢١٨–٢٢١.

كله"[١]، وقال الإمام إبراهيم بن أدهم – رحمه الله –: "من حمل شاذ العلم حمل شراً كبيراً"، ومثله نقل عن الإمام ابراهيم بن أبي عبلة[٢]، وعقب الإمام ابن القيم – رحمه الله – على ما تقدم بقوله: "من أخذ بالرخص من أقاويلهم تزندق أو كاد"[٣]، وهذا محل إجماع بلا نزاع، كما قال شيخ الإسلام الإمام ابن عبد البر – رحمه الله –: "هذا إجماع لا أعلم فيه خلافاً"[٤].

ومن ذلك الزلل الذي يجب أن يُحذَر منه ويُحذَّر. تضعيف بعض القراءات العشرة المتواترة وردها والطعن فيها كما وقع في هذه الهوة السحيقة بعض المفسرين، يغفر الله لنا ولهم أجمعين. مثال ذلك القراءة التي قرأ بها الإمام حمزة بن حبيب الزيات – وقراءته متواترة بالإجماع – قرأ بجر والأرحام، في الآية الأولى من سورة النساء. فاعترض عليها بعض العلماء، منهم النحوي المفسر الفراء[٥]، والمفسر الطبري[٦]، والنحوي المفسر الزجاج[٧]، والمفسر النحوي الزمخشري[٨]، والمفسر الشوكاني[٩] وغيرهم.

وهل القراءات إلا القرآن العظيم، وهل يتوجه طعن على أي جهة في أصح كلام، وأفصح بيان، وأقوم نظام، وفيه هداية الأنام؟! وقد ردَّ عليهم أهل العلم والتحقيق بما لامزيد عليه، وصدق القائل: "إن لنا شريعة لو رام سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه وأرضاه

---

(١) الخلال، **كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ص١٥٩. وابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ٢ج، ص٩٢.

(٢) الخلال، **كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ص١٥٩، ومنقول عن ابرهيم بن أبي عبلة في **سير أعلام النبلاء**، ج٦، ص٣٢٤.

(٣) ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ج١، ص٢٢٨.

(٤) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ج٢، ص٩٢.

(٥) ينظر: الفراء، **معاني القرآن**، ج١، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٦) ينظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٤، ص١٥٢.

(٧) ينظر: الزجاج، **معاني القرآن**، ج٢، ص٦.

(٨) ينظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج١، ص٤٩٣.

(٩) ينظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج١، ص٤١٨.

– أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه"[1]، وحاشاه ذلك. ومن أبرز من تصدى للرد على من طعن في قراءاة الإمام حمزة – رحمه الله – المتواترة، المفسر الإمام فخر الدين الرازي[2]، وإمام النحاة ابن مالك[3]، والمفسر النحوي أبو حيان[4]، والمفسر شهاب الدين الخفاجي[5]، والمفسر الألوسي[6]، وغيرهم. قال سيد القراء وإمام مشايخ الإقراء أبو أبو الخير ابن الجزري – رحمه الله –: "انظر يا أخي إلى قلة حياء هؤلاء من الله تعالى، يجعلون ما عرفوه من القياس أصلاً، والقرآن العظيم فرعاً، حاشا العلماء المقتدى بهم من أئمة اللغة والإعراب من ذلك، بل يجيئون إلى كل حرف مما تقدم ونحوه ويبالغون في توجيهه والإنكار على من أنكره. ليت شعري أكان الدين قد هان على أهله حتى يجيء شخص في ذلك الصدر يدخل في القراءة بقلة ضبطه ما ليس منها، فيسمع منه، ويؤخذ عنه، ويقرأ به في الصلوات وغيرها، ويذكره الأئمة في كتبهم، ويقرأون به ولم يزل كذلك إلى زماننا هذا، لا يمنع أحد من أئمة الدين القراءة به، مع أن الإجماع منعقد على أن من زاد حركةً أو حرفاً في القرآن أو نقص من تلقاء نفسه مصراً على ذلك فقد كفر"[7].

فليست القراءات التي قرأ بها القراء العشرة الكرام إلا القرآن الذي طريقه السماع المتواتر عن نبينا – عليه الصلاة والسلام – فالقراءات تتبع النزول لا القياس، وهي سنة يأخذها الأخر عن الأول فاقرؤا كما علمتموه، كما ثبت ذلك عن الخليفة الراشد الثاني عمر

---

(١) هذا نص كلام شيخ الإسلام الإمام ابن الجوزي، في **تلبيس ابليس**، ص٣٥٥.

(٢) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير** (مفاتيح الغيب)، ج٩، ص١٦٤.

(٣) ينظر: ابن عقيل، **الألفية ومعها الشرح**، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) ينظر: ابو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص١٤٧-١٤٨، ج٣، ص١٥٨-١٥٩.

(٥) ينظر: الخفاجي، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي**، ج٣، ص٩٧.

(٦) ينظر: الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج٤، ص١٨٤-١٨٥.

(٧) ابن الجزري، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، ص٦٣-٦٧.

ابن الخطاب، وكاتب الوحي زيد بن ثابت، وعن ابن المنكدر، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وعامر الشعبي من التابعين – رضي الله عنهم أجمعين[1].

ولذلك لا يجوز الترجيح بين القراءات، ولا تفضيل قراءة على قراءة، ومن باب أولى لا يجوز بينها التصحيح والتضعيف، ولا القبول والرد، فالكل كلام الله الصمد. قال الإمامان الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان: حكى أبو عمر الزاهد عن الإمام المحدث إمام النحو ثعلب[2] قال: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى. وعن الإمام النحاس قال: الديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي – صلى الله عليه وسلم. فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تقدم إحداهما على الأخرى. وقال أيضاً: السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال أحدهما أجود لأنهما جميعاً من النبي – صلى الله عليه وسلم – فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا – رضي الله عنهم[3]. وأما فيما يتعلق بتوجيه قراءة الإمام حمزة من حيث المعنى وبيان الصلة بينها وبين بقية قراءة القراء العشر الكرام فمبسوط في كتب التفسير[4]، وفقنا الله الكريم للعلم المستنير. فهاتان الحالتان من الخطأ الناتج عن الاجتهاد ليستا داخلتين في موضوع البحث، وأما الأنواع التي يشملها البحث، ومكانة العقل والوحي فهي ما سيتضح من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: حكم من تسور على تفسير كلام الله الجليل.

---

(١) كما في ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص١٧. وفي الباقلاني، **نكت الإنتصار لنقل القرآن**، ص٤١٥ فما بعدها.

(٢) انظر ترجمته العطرة في **تاريخ بغداد** للإمام الخطيب البغدادي، ج٥، ص٢٠٤-٢١٢.

(٣) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٣٩-٢٤٠. والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٨١.

(٤) ينظر: الرازي، **التفسير الكبير للإمام**، ج٩، ص١٦٤-١٦٥. والقرطبي، **جامع البيان**، ج٥، ص٤-٥، والألوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص١٨٤-١٨٥.

المطلب الثاني: أمثلة على أنواع المتسورين على علم التفسير.

المطلب الثالث: العقل والوحي والعلاقة بينهما.

المطلب الأول

حكم من تسور على تفسير كلام الله الجليل، ولم توجد فيه أهلية التفسير، أو وجدت فيه لكنه يقصد الصد عن سواء السبيل

تقدم بيان الحقائق التي ينبغي فهم النص بموجبها، وقد تمثلت في سلفنا الطيبين بحق، كما وجدت فيمن تبعهم بصدق مع سلامة القصد، فقامت طريقتهم في تفسير كلام ربنا الحق، على ستة أمور محكمة تُحقق الفهم الحق.

لكن جهد البشر معرض للنقصان، مهما تحققت فيه الأهلية على التمام، نعم لذلك النقصان حالتان:

الأولى: حالة يعذر فيها الإنسان حيث احتمل النصُّ قوله صراحة أو إشارة.

الثانية: حالة يزل فيها الإنسان، فَنُحذِّره ونحذر زلَله، ونحذر منه قياماً بواجب النصح.

وهذا كله فيمن وجدت فيه عُدة الفهم وتحققت فيه الأهلية، ثم التزم في تفسيره بالطرق الستة السوية، فخرج عن هذا صنفان اثنان:

أولهما: من اكتملت فيه الأهلية لكنه سيء الطوية فاسد النية، فلا يقترب من النصوص إلا كما يفعل اللصوص، يحرف دين الله العظيم عن عمد، ويكتم الحق عن سوء قصد، فهو كأحبار اليهود، الذين قال الله فيهم ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم

مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (سورة البقرة: ٨٩)، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٤٦).

ثانيهما: من لم تكتمل فيه أهلية فهم الكلام، وليس عنده عدة لتفسير القرآن، ولا يتقن الطرق الستة، لفهم كلام ربنا الرحمن، بل ليس عنده خبر عنها ولا علم بها وهؤلاء صنفان:

أولهما: من ضم إلى ذلك سوء القصد، فهو يظاهر أعداء الدين على الإسلام والكيد لأهل الإيمان، وفي مثل هؤلاء يقول ذو الجلال والإكرام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١١٢).

ثانيهما: من خلا من سوء القصد، فهو حيران يخبط في دين الله بأنواع الزور والبهتان، ويحسب أنه من أهل الحق والإحسان وفي مثل هؤلاء يقول ربنا الرحمن: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (سورة الكهف: ١٠٣-١٠٦)، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: "هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطىء وعمله مردود"[(١)].

(١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص١٠٧.

المطلب الثاني

أمثلة على أنواع المتسورين على علم التفسير

سأعرض أمثلة من سوء فهم هذه الأنواع الثلاثة مع بيان ما في أقوالهم من تحريف وشطط – أجارنا الله الكريم منهم – ووقانا بفضله ما أتوا به من زيغ وغلط.

الصنف الأول: من عنده أهلية الفهم، لكنه زاغ وآثر التحريف عن علم، كصاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وكتابه كله تحريف وتلاعب بكلام الله الحكيم. وأسوأ ما في الكتاب – وكله سوء بلا ارتياب – قوله: "الإسلام رسالة لا حكم، ودين لا دولة"(١). هذا بعد أن قرر أن الجهاد لا يكون دعوة إلى الدين، ولا لحمل الناس على الإيمان بالله العظيم وبرسوله الأمين – صلى الله عليه وسلم – وإنما يكون لتثبيت السلطان وتوسيع الملك. وليست مهمة النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا تبليغ الدعوة، وليس له الحكم بها، ولا تنفيذ أحكامها. ثم ختم كتابه بما يدل على مقصده أو مقصد من كتبه من الملحدين، وأغروه بوضع اسمه عليه مقابل عرض فان وشهرة زائلة(٢) فقال في اخر صفحة: "لا شيء في الدين يمنع المسلمين أن يسابقوا الأمم الأخرى في علوم الاجتماع والسياسة كلها وأن يهدموا ذلك النظام العتيق الذي ذلوا له واستكانوا إليه وأن يبنوا قواعد ملكهم ونظام حكومتهم على أحدث ما أنتجت العقول البشرية وأمتن ما دلت تجارب الأمم على أنه خير أصول الحكم"(٣).

---

(١) عبد الرازق، علي، **الإسلام وأصول الحكم**، الباب الثالث، ص٦٤.

(٢) هذا ما قاله الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي مصر سابقاً – رحمه الله – في كتابه **حقيقة الإسلام وأصول الحكم**، ص٢٣٧. "علمنا من كثير ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له فيه إلا وضع اسمه عليه فقط فهو منسوب إليه فقط ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا الكتاب وألبسوه ثوب الخزي والعار إلى يوم القيامة وشهروا باسمه عند العقلاء تشهيراً لا يرضاه لنفسه من عنده أدنى مسكة من عقل".

(٣) آخر كتاب **الإسلام وأصول الحكم**، ص١٠٣. ومهد الشيخ محمد بخيت المطيعي لحكاية هذا القول الشنيع بما يدل على أنه ثمرة مرة لما سبقه في كتابه الفظيع، ثم علق على كلامه بما يبين شناعة ضلاله وأوهامه، فقال في آخر كتابه **حقيقة الإسلام وأصول الحكم**، ص٤٤٥-٤٤٦، "ولما كان كل كتابه من أوله إلى آخره يرمي إلى إنكار=

ومن المعلوم عند العقلاء أن كل من عرف دين الإسلام وإن لم يكن من أهله الكرام يجزم يقيناً بأن كل ما في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) بهتان، وتلاعب بالقرآن، يستحي منه كل إنسان، إلا من تجرد من الحياء كما قال نبينا – عليه الصلاة والسلام –: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[1].

وسأناقش بعض ما في هذا الكتاب من زيغ وتباب ضمن أمرين واضحين بلا ارتياب.

الأمر الأول: قوله: "الدين دعوة إلى الله تعالى، وقوام تلك الدعوة لا يكون إلا البيان، وتحريك القلوب بوسائل التأثير والإقناع، فأما القوة والإكراه فلا يناسبان دعوة يكون

الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على أنه عليه السلام كان حاكماً وكان له حكومة ودولة أسسها على قواعد القرآن والأحاديث، وإنكار أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يجاهد لإعلاء كلمة الله تعالى وتبليغ الدعوة الدينية وحمل الناس على العمل بشريعته بل إنما جاهد لتثبيت سلطانه وسعة ملكه إلى قوانين سياسية، وإنكار أنه – صلى الله عليه وسلم – كان له ملك سياسي، ويزعم أن أبا بكر أنشأ ملكاً جديداً وحكومة جديدة، وكان كل ذلك إنكاراً صريحاً لشريعة الإسلام وقولاً بأن الحكومات الإسلامية من عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – إلى يومنا هذا حكومات لا دينية، قال بناء على ذلك كله وقد بلغ فيما قاله غاية القبح والمكابرة، ثم ذكر كلامه السابق وعلق عليه بقوله: فالمؤلف يقول صريحاً أن النظام الذي كانت عليه حكومة أبي بكر ومن بعده من الخلفاء الراشدين هي حكومات لا دينية ونظام عتيق غير صالح لأن يكون نظام حكومة لخلوه من علوم الاجتماع السياسية وأن ما أنتجته العقول البشرية خير منه وأكمل. وهذا من المؤلف إنكار لأصول الحكم الإسلامي، وأنها من وضع أبي بكر ومن معه من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم، وأنها مغايرة لما كان عليه النبي – صلى الله عليه وسلم، مع أن أصول الحكم ومأخذ الشريعة الإسلامية عند كافة المسلمين في عهد رسول – الله صلى الله عليه وسلم – وفي عهد خلفائه ومن بعدهم إلى أن تنقضي دار التكليف كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإجماع المسلمين والقياس الصحيح على ما ثبت بنص الكتاب أو السنة أو الإجماع وليس هناك خير منها ولا أكمل منها لأنها مستمدة من نور الله ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور كما قدمناه كيف والله تعالى يقول في كتابه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (سورة المائدة: ٣)، أبعد هذا يقول المؤلف ما قاله مما هو كفر وإلحاد.

(١) الحديث الشريف من رواية أبي مسعود البدري – رضي الله عنه – أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج٤، ص١٢١-١٢٢، ج٥، ص٢٧٣. والإمام البخاري في **صحيحه**، رقم: (٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠)، والإمام أبو داود في **سننه**، رقم: (٤٧٩٧)، وغيرهم، وهو في **جامع الأصول**، ج٣، ص٦٢٠، رقم: (١٩٥٦).

الغرض منها هداية القلوب، وتطهير العقائد"[1]، ثم استدل على قوله بآيات كريمات متعدد منها ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)، ومنها ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ (سورة الغاشية: ٢١-٢٢)، ثم تابع تقرير كلامه فذكر في خمس صفحات متتاليه ٧١-٧٦، آيات كريمات تدل على أن عمل نبينا - صلى الله عليه وسلم - السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان، منها: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ (سورة النساء: ٨٠)، ومنها: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۖ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ (سورة الأنعام: ١٠٦-١٠٧)، وختمها بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (سورة الجن: ٢٠-٢٣).

نعم إن الآيات الكريمات المتقدمة حق، والإيمان بها فرض، لكن يجب الإلتزام في أمرين عند فهم آيات القرآن وهما:

أولهما: يجب فهم القرآن بالطرق الستة المقررة عند المهتدين، وتقدم بيانها ولم يلتزم المؤلف بواحدة منها.

نعم مهمة نبينا - عليه الصلاة والسلام - البلاغ بالحكمة والموعظة الحسنة بأحسن بيان، وهو ليس بمتسلط على إنسان، فالهداية بيد الرحمن: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ

(١) عبد الرزاق، علي، **الإسلام وأصول الحكم**، ص٥٣.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ (سورة القصص: ٥٦)، وتحقيقاً لهذه المهمة الشريفة أمره الله الرحيم بأن يشفق على نفسه الطيبة الطاهرة، ولا يشق عليها أسفاً وحسرة على من كفر وآثر الدنيا على الأخرة، قال الله – جل ثناؤه –: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ (سورة فاطر: ٨).

ثانيهما: كل آية من القرآن الكريم في أي موضوع كان، ينبغي فهمها على حسب السياق والسباق واللحاق، في السورة المنزلة فيها وفي القرآن الكريم التي هي جزء منه، فمن فصل آية عن سورتها وعن القرآن الكريم الذي يحويها ويضمها، فقد سلك مسلك المنهجية التفكيكية وتلاعب بكلام رب البرية. وإيضاح هذا بالأمر الثاني الأتي.

الأمر الثاني: من تأول سنة الله الحكيم في أمره الشرعي الديني، وفي أمره الكوني القدري علم يقيناً تعهد الله الكريم عباده بالرعاية رويداً رويداً، وهذا من مقتضيات تربيته الحكيمة، فهو رب العالمين، وبذلك أرسل رسله الكرام الطيبين: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ (سورة آل عمران: ٧٩)، ومن صفات الله الكريمة صفة الرفق، والله يحب من اتصف بها من الخلق، ففي المسند وصحيح الإمام مسلم عن أمنا الصديقة سيدتنا عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف، إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج٦، ص٥٨، ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢٢، والإمام مسلم في **صحيحه**، رقم: (٢٥٩٣)، وهو في **جامع الأصول**، ج٤، ص٥٣٢، رقم: (٢٦٣٦).

وباختصار إن الخلق الكريم هو حال نبينا الأمين – صلى الله عليه وسلم – كما شهد له بذلك الحكيم العليم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم:٤)، وهذا ما شهدت به الآيات الكريمة التي استدل بها المؤلف على دعوة نبينا – صلى الله عليه وسلم – للناس بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق والرعاية. لكن من أين يفهم منها ترك الجهاد في سبيل الله ليكون الدين كله لله؟! أليس من الحكمة معاقبة من أصر على كفره وضلاله وغيه وعدوانه، بعد قطع عذره وبذل ما في الوسع في التلطف به من أجل هدايته؟!.

وَوَضْعُ النّدى في موْضعِ السّيفِ بالعلى مضرٌّ كوضْع السيفِ في موضع النّدى[1]

إن جهاد الكفار ما شرعه العزيز الجبار إلا بعد خمس عشرة سنة من بعثة نبينا المختار – صلى الله عليه وسلم – وقد نزل في شأن الجهاد والحرب والقتال ما يقارب مئة آية كريمة. فهل يليق بمن يدعي عدم مشروعية الجهاد، ويزعم أنه لا يمكن أبداً أن يكون للدين وكل من قام به فإنما يريد الملك والتسلط. هل يليق به أن يتعامى عن تلك الآيات البينات، ويسلك مسلك اليهود في الإيمان ببعض التوراة والكفر ببعضها، قال الله العظيم: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (سورة البقرة: ٨٥-٨٦)، هلا تأمل آيات الجهاد، ووقف عند قول رب العباد – جل وعلا –: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ

(١) ينسب هذا البيت للمتنبي، ينظر الواحدي، **شرح ديوان المتنبي**، ص٥٦٧.

كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (سورة النساء: ٧٧)، ففيها أبلغ رادع له عن غيه.

نعم نهي عن الجهاد في أول الأمر في مكة المكرمة لحكم كثيرة، ثم شرع لهم على مراحل وأمروا به بعد الهجرة الشريفة للمدينة المنورة فلنسمع لبيان تلك المراحل، لنعلم مدى ضلال المؤلف وتحريفه للآيات، قال شيخ الإسلام الإمام السرخسي[1] في أول كتاب السير من كتابه المبسوط: "فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول الواجب دعاؤهم إلى الدين، وقتال الممتنعين منهم من الإجابة لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠)، ورأس المعروف الإيمان بالله تعالى، فعلى كل مؤمن أن يكون آمرا به داعيا إليه، وأصل المنكر الشرك، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مأموراً في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين قال الله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ (الحجر: ٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر: ٩٤)، ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)، أي أذن لهم في الدفع وقال تعالى: ﴿فَإِن

(١) الإمام الكبير محمد بن أحمد صاحب المبسوط وغيره. توفي في حدود التسعين والأربعمائة، ولعل الصواب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة – رحمه الله – ينظر: القرشي، عبد القادر بن محمد، **الجواهر المضية في طبقات السادة الحنفية**، ج٣، ص٧٨-٨٢.

قَتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:١٩١)، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (الأنفال: ٦١)، ثم أمر بالبداية بالقتال فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: ٥)، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[(١)]، فاستقر الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين وهو فرض قائم إلى قيام الساعة، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخر عصابة من أمتي الدجال»[(٢)]، وقال صلى الله عليه وسلم: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي والذل والصغار على من خالفني، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[(٣)]، وتفسيره منقول عن سفيان ابن عيينة – رحمه الله – قال: بعث الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأربعة سيوف، سيف قاتل به بنفسه عبدة الأوثان، وسيف قاتل به أبو بكر – رضي الله تعالى – عنه أهل الردة، قال الله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ (الفتح: ١٦)، وسيف قاتل به عمر – رضي الله تعالى عنه – المجوس وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ (التوبة: ٢٩) الآية، وسيف قاتل به علي – رضي الله تعالى عنه – المارقين والناكثين والقاسطين، وهكذا روى عنه قال: أمرت

---

(١) الحديث الشريف في الكتب الستة من رواية أبي هريرة – رضي الله عنه – وهو في **جامع الأصول**، ج١، ص٢٤٦.

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في **سننه**، رقم: (٢٥٣٢) من رواية أنس بن مالك – رضي الله عنه – وهو في **جامع الأصول**، ج١، ص٢٤٣، رقم: (٣٢). وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في **مسنده**، ج٢، ص٥٠ – ٩٢، من رواية عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – ورواه الإمام الطبراني كما في **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٥، ص٢٦٧.

بقتال المارقين والناكثين والقاسطين قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الحجرات: ٩)"[1].

نعم هذا حال من آثر هواه، وتلاعب بشرع مولاه عن علم وقصد فينطبق على هذا النوع – قول الله – جل في علاه ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٧).

الصنف الثاني: من لم تكتمل عنده أهلية التفسير، وتسور على كتاب الله الجليل برأيه الهزيل، بالشرح والتفصيل فأتى بالأباطيل. وهؤلاء فريقان، وهما:

الفريق الأول: لم توجد عنده العدة اللازمة للتفسير لكن ليس عنده سوء قصد، ولا يريد تحريف الكلم عن مواضعه بقصد، وهذا الصنف أيضاً نوعان:

النوع الأول: واعظون جاهلون، وقصاص بطالون، وضعوا أنفسهم فيما لا يحسنون، وتكلموا فيما لا يتقنون، فضررهم يزيد على الطبيب الجاهل، لأن ضرر الطبيب الجاهل مقصور على الأبدان، وضرر المفسر الجاهل شامل للأديان والأبدان، ولذلك اعتبر نبينا – عليه الصلاة والسلام – انتشار القصّاص – وهمْ كل داعٍ من غير عدة – في أي زمان علامة على هلاك الأنام، كما في معجم الطبراني الكبير عن خباب بن الأرت – رضي الله

(١) السرخسي، **المبسوط**، ج١٠، ص٣-٤.

عنه –، عن النبي صلى الله عليه وسلم – قال: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا هَلَكُوا قَصُّوا»[1]، وقال الصحابي الجليل صلة بن الحارث الغفاري – رضي الله عنه – لقاصّ رآه يقص على الناس قائماً: «والله ما تركنا عهد نبينا – صلى الله عليه وسلم –، ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا»[2].

نعم لا يكفي طيب القلب، وسلامة الصدر، وحسن القصد من غير عدة لازمة للأمر. روى الإمام الحازمي – رحمه الله تعالى – عن رابع الخلفاء الراشدين سيدنا علي أمير المؤمنين – رضي الله عنه – «أنه دخل مسجد الكوفة فإذا رجل يخوّف الناس، فقال: ما هذا؟ قالواْ: رجل يذكّر الناس. فقال: ليس برجل يذكر الناس، ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان فاعرفوني، فأرسل إليه: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا، قال: فاخرج من مسجدنا، ولا تذكر فيه، هلكت وأهلكت». ورويا مثله عن ابن عباس – رضي الله عنه –: «مَرَّ ابن عباس بِقَاصٍّ يَقُصُّ فركضه برجله، فقال: أتدري ما الناسخ من المنسوخ؟ قال: وما الناسخ من المنسوخ؟ قال: وما تدري ما الناسخ من المنسوخ: قال: لا. قال: هَلَكْتَ، وَأَهْلَكْتَ»[3].

وهذا مثال يوضح خطأ من تقحم تفسير القرآن الكريم من غير عدة معتبرة عند الراسخين، وإن كان ذو قصد سليم.

يستدل كثير من الوعاظ الجهلة والقصاص البطلة، على مجاهدة النفس وتهذيبها بقول الله – جل وعلا –: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ (سورة النازعات: ١٧)،

---

(١) أخرجه الطبراني في **معجمه الكبير**، ج٤، ص٨٠، رقم: ٣٧٠٥. ورجاله موثقون كما في ابن الهيثمي، **مجمع الزوائد**، واختلف في الأجلح الكندي والأكثر على توثيقه، ج١، ص١٨٩. وهو في أبي نعيم، **حلية الأولياء**، ج٤، ص٣٦٢.

(٢) الأثر أخرجه الطبراني في **معجمه الكبير**، ج٨، ص٧٤، رقم: ٧٤٠٧. وإسناده حسن كما في ابن الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج١، ص١٨٩، وأخرجه الإمام البخاري في **التاريخ الكبير**، ج٤، ص٣٢١.

(٣) الهمداني، أبو بكر محمد، **الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار**، ص٦-٧، وذكرهما أيضاً الإمام ابن سلامة، هبة الله، في **الناسخ والمنسوخ**، ص٤، وروى الأثر الأول الخطيب في **الفقيه والمتفقه**، ج١، ص٨٠.

وبقوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ (سورة طه: ٤٣)، بناء على أن النفس هي المرادة بفرعون. ومنهم من يستدل على عدم الاشتغال بالنفس والعيال، والتلهي بهما عن ذي العزة والجلال، بقول الكبير المتعال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ (سورة طه: ١٢)، ويفسر النعلين بالنفس والأهل[1]، وهذا من التفسير بالرأي المحرم، وهو شبيه بتفسير الباطنية وإن اختلفت الدواعي القلبية، وكل منهما تلاعب بالآيات القرآنية.

سبحان الله! أين الحقائق التي تجب مراعاتها عند فهم الكلام؟ وأين الطرق الستة السليمة التي يجب الرجوع إليها عند تفسير القرآن؟ إن ترك الحقائق الشرعية والعرفية والوضعية اللغوية، وإهمال الطرق السوية في تفسير كلام رب البرية، طريقة إبليسية، وإن ترك ظواهر النصوص نزعة زنديقية مهما صفت النية، حفظنا الله من كل آفة ردية.

النوع الثاني: يتسارع إلى تفسير كلام رب البرية باللغة العربية، من غير اعتبار للنقول الأثرية، ولا مراعاة لملابسات الآيات القرآنية، ولا يعتني بوضع الآية الكريمة في سياقها مع سابقها ولاحقها، ولا يتقيد بالحقائق المتقدمة، ولا يلتزم بالطرق الستة المحكمة، فتزل قدمه، ويقول في القرآن ما لم يرده ربه – جل وعلا – سواء كان فاعل ذلك عنده أهلية في التفسير أو ليس عنده إلا علم بالعربية قليل أو كثير، فالمعتبر في هذا النوع تفسير القرآن الكريم بظاهر اللغة العربية دون مراعاة الآثار الشرعية، وملابسات الآيات القرآنية. وقد وقع شيء من ذلك في الصدر الأول، فنُبيِّن له الصواب. كما ثبت في المسند والكتب الستة وغير ذلك من دواوين السنة الشريفة عن عروة بن الزبير – رضي الله عنهما – قال: «سألتُ

---

(١) ومن العجيب الغريب ما جاء في **البرهان المؤيد** للشيخ: أحمد الرفاعي – رحمه الله – ص٨٧، ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي: نفسك وزوجتك. ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ أي عن رؤية الزوجة والنفس. ولعل هذا مما وضع على الشيخ الرفاعي (فقد كان شافعياً يعرف الفقه، إماماً قدوة عابداً زاهداً، كثير الإستغفار، عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص، لا يقوم للرؤساء. توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مئة – رحمه الله) ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢١، ص٧٧-٨٠.

عائشة – رضي الله عنها –، فقلتُ لها: أَرَأَيْتِ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ١٥٨) فواللهِ ما على أحدٍ جناحٌ أن لا يطَّوَّفَ بالصفا والمروة، قالت: بئسما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت على ما أَوَّلْتَهَا: كانت لا جناح عليه أن لا يطَّوَّف بهما، ولكنها أُنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يُسلِموا يُهِلُّونَ لِمَناةَ الطَّاغِيَةِ، التي كانوا يعبدونها عند المشلَّل، وكان مَن أهَلَّ لها يتحرَّجُ أنْ يطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالمرْوَة، فلما أسلَموا سألوا النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا كُنَّا نتحرَّجُ أن نطَّوَّفَ بين الصَّفَا والمروَةِ؟ فَأنزلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة : ١٥٨)، قالت عائشة – رضي الله عنها –: وقد سَنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الطَّوافَ بينهما، فليس لأحدٍ أن يترك الطواف بينهما»[(١)]، وفي رواية قال عروة بن الزبير: «قلتُ لِعَائشةَ – رضي الله عنها – وأنا يومَئِذٍ حديثُ السِّنِّ – أَرأيتِ قوْلَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة : ١٥٨) ما أرَى على أحدٍ شيئاً أن لا يطَّوَّف بهما؟ فقالت عائشةُ: كَلا، لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطَّوَّف بهما، إنها إنما أُنْزِلَتْ هذهِ الآيةُ في الأنصار، كانوا يُهلُّون لمَناةَ، وكانت مَناةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وكانوا يَتَحَرّجونَ أنْ يَطَّوَّفوا بَيْنَ الصَّفا والمروةِ، فلما جاء الإسلام، سألُوا رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾»[(٢)] فبينت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أن الآية المباركة لم تتعرض

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، باب وجوب الصفا والمروة، ج٢، ص٥٩٢، رقم: ١٥٦١. والإمام مسلم في **صحيحه**، ج٢، ص٩٢٩، رقم: ١٢٧٧. وهو في **جامع الأصول**، ج٢، ص١٥، رقم: ٤٨١.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج، ج٢، ص٦٣٥، رقم: ١٦٩٨. والإمام مسلم في **صحيحه**، ج٢، ص٩٣٠، رقم: ١٢٧٧. وهو في **جامع الأصول**، ج٣، ص٢١٢، رقم: ١٤٩٧.

لفرضية السعي، ولا لسنيته، وإنما لما تحرجوا عن السعي بينت الآية الكريمة: أنه لا حرج في ذلك، وحكم السعي يؤخذ من أدلة اخرى. وعلى هذا فالاكتفاء بظاهر العربية في كثير من الآيات لا يكفي. بل لا بد من معرفة الظروف والملابسات التي صاحبت نزول الآيات الكريمات. "فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[1]. قال الإمام النووي – رحمه الله – معلقاً على جواب أمنا عائشة – رضي الله عنها – "قال العلماء: هذا من دقيق علمها وفهمها الثاقب، وكبير معرفتها بدقائق الألفاظ، لأن الآية الكريمة إنما دل لفظها على رفع الجناح عمن يطوف بهما، وليس فيه دلالة على عدم وجوب السعي، ولا على وجوبه، فأخبرته عائشة – رضي الله عنها – أن الآية ليس فيها دلالة للوجوب ولا لعدمه، وبينت السبب في نزولها والحكمة في نظمها، وإنما نزلت في الأنصار حين تحرجوا من السعي بين الصفا والمروة في الإسلام، وأنها لو كانت كما يقول عروة لكانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما"[2].

الفريق الثاني: ممن لم تكتمل فيه أهلية التفسير لكنه جمع إلى ذلك سوء القصد في التأويل، فليس في العير ولا في النفير، وهو متعثر في المدلول والدليل، وهؤلاء أيضاً نوعان كل منهما آثم مذموم، يتكلم عن عمد بالأباطيل، وهمه الأول والأخير التلاعب بشرع الله الجليل، وهذان الصنفان منهم من أظهر الانتساب إلى الإسلام ليكيد له ويضل أهله باسمه، ومنهم من كشف القناع عن وجهه، وصرح بكفره وأعلن الحرب على ربه. وهذا بيان حالهما وسوء فعلهما.

النوع الأول: أظهر الإسلام لكنه شيطان، يريد الكيد له باسم الإسلام، ليكون أخفى لمكره، وأدعى لقبول تلبيسه، كما هو حال الشيعة الروافض، وغلاة الصوفية الدجالين، والفلاسفة الهالكين، والقاديانية المرتدين، وجميع فروع الباطنية المنحرفين، وكلِ متلاعب بالدين من دعاة التجديد وتقليد الغرب في هذا الحين، رد الله كيدهم إلى نحورهم

---

(١) كما نقل ذلك عن الإمام ابن تيمية في: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص٨٨.

(٢) انظر: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج٩، ص٢١.

إنه جبار عظيم. وسأقتصر على نموذج واحد، لنرى رأي العين كيف تلاعبوا بالقرآن الكريم وبمفاهيمه.

- الشيعة الروافض. انحصر موقفهم الأثيم نحو القرآن الكريم، في موقفين كل منهما كفر مبين.

الموقف الأول: القرآن الكريم محرف من قبل الصحابة الكرام، وفيه تغيير وزيادة ونقصان. وعليه الأكثر، بل الكل عند من عرف حالهم وتدبر، لأن التقية عندهم أصل مذهبهم المنكر، والقول بالتحريف متواتر عندهم، فقد زوروا عن الأئمة الكرام الطيبين أكثر من ألفي رواية في تقرير ذلك الكفر المبين، جمع أكثرها منسوبة إلى مصادرها في كتاب حافل بالضلالات الزائغُ حسين بن محمد تقي النورسي الطبرسي، الهالك سنة ١٣٢٠هـ، سمى كتابه بما يسود يوم القيامة وجهه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، فرغ منه سنة ١٢٢٩هـ، وثارت غضبة في العالم الإسلامي لما طبع الكتاب، فلامه أصحابه حيث أظهر حقيقتهم وجمع ما تفرق في كتبهم، ولا يريدون أن يطلع عليها أحد – لا سيما إذا كانت مجموعة – إلا شيعتهم ومن قلدهم، وهذيانهم في هذا المقام أشبه ما يكون بأضغاث الأحلام، وسأقتصر من باب الاختصار على ذكر خبر يبين مدى تحريفهم وتزويرهم لفهم القرآن.

جاء في كتاب الكافي لشيخ الشيعة وعالمهم ثقة الإسلام عندهم، أحمد بن إبراهيم الكُليني – بضم الكاف وإمالة اللام – المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثة مئة[١]. (عن الإمام الباقر – رحمه الله – قال: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، ما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده)[٢]، وقد اعترف المعلق الطباطبائي: بأن الرواية ظاهرة في لفظ القرآن، ومشعرة بوقوع التحريف.

---

(١) انظر ترجمته في الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٥، ص٢٨٠.

(٢) الكليني، **الكافي**، كتاب الحجة، ج١، ص٢٢٨.

إن آثار الشيعة المروية في تحريف القرآن الكريم تدل دلالة واضحة على أن التحريف في "أعيان المنزل إعجازاً، أي: نفس القرآن حقيقة"[1]، كما هو نص الطبرسي في فصل الخطاب.

إشكال قد يتساءل متسائل: هل يمكن لمسلم يؤمن بالله العظيم، أن يقول بتحريف القرآن الكريم، سواء من الفرق الضالة كالشيعة، أو من دعاة الحداثة وتطبيق المناهج الغربية على القرآن الكريم؟ والجواب: لا، وألف لا. لكن لا يرد هذا إذا علمنا حقيقة الحال.

نعم من قام مذهبه على الباطل فلا مناص له من القول بتحريف القرآن الكريم، وإلا بطل مذهبه الذميم. قال الإمام ابن حزم – رحمه الله –: "ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير..."[2]، ولذلك حكم عليهم بالكفر من غير تردد، وقال أيضاً في دعوى الروافض بتبديل القراءات: "إن الروافض ليسوا من المسلمين إنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي – صلى الله عليه وسلم – بخمس وعشرين سنة وكان مبدؤها إجابة من خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر"[3]. هذا هو الموقف الأول من الشيعة نحو القرآن الكريم.

والموقف الثاني: لا يقل خطورة عن الأول، إن لم يكن أشد كفراً منه، ولا يسلم شيعي منهما، إن نفى الأول عنه تقية، فهو يجهر ويجاهر بالثاني حسب زعمه حمية دينية، وهي في الحقيقة حمية كفرية. ويتلخص هذا الموقف في أمرين اثنين:

أولهما: حملوا الآيات التي نزلت في شر خلق الله – عز وجل – على الصحابة الكرام، بل وعلى خيارهم وأفضلهم، وهم أطيب وأطهر خلق الله جل وعلا.

---

(١) الطبرسي، **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب**، ص١٤٦.

(٢) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج٤، ص١٣٩.

(٣) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج٢، ص٦٥ – ٦٧.

ثانيهما: فسروا الآيات النازلة في مدح الصحابة الكرام بما يدل على كفرهم ونفاقهم، قاتلهم ذو الجلال والإكرام.

وهذان المسلكان يدلان على تمام الخبث والكفر في الإنسان، لأن الموقف الأول موقف الزاعمين لتحريف كلام رب العالمين، يُظهر حالهم حتى أمام الكافرين، بأنهم لا يؤمنون بالله العظيم، أما الموقف الثاني بشقيه فهم في الظاهر مفسرون، ويبيِّنون مراد الحي القيوم، فيخدعون ويخادعون، وما يخدعون إلا أنفسهم لو كانوا يشعرون. ومن المعلوم أن التلاعب بالنص نوعان. تلاعب بلفظه، وتلاعب بمعناه. والكل تلاعب وكفر، إن المتأول فيما لا يحتمله النص القرآني لا يعذر ويقام عليه الحدّ، ويقتل إن أصرَّ، كما هو الحال فيمن وقع بنوع تأويل في شرب الخمر، تعلقاً بقول الله – عز وجل –: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (المائدة: ٩٣)، والآية الكريمة فيها عذر لمن غبر، وحجة على من تأخر، ومن أصر يقتل، كما فهم ذلك الصحابة الكرام وفيهم ابن عباس وعلي وعمر – رضي الله عنهم – [1]، فكيف سيكون حال من تلاعب بالنص وكفر؟!

وهذه أمثلة توضح تحريف الشيعة لمعنى القرآن الكريم، وتدخلهم في حكم المحرفين المتقدمين.

قال الله – جل ثناؤه –: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٣٧)، والآية ظاهر معناها في الكفار سواء كانت فيمن آمن من اليهود بنبي الله موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – ثم كفروا بعبادتهم العجل، ثم آمنوا بنبي الله موسى – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – ثم كفروا بنبي الله عيسى – على نبينا وعليه

(١) إيضاح ذلك في: ابن العربي، **أحكام القرآن**، ج٢، ص٦٥٨ – ٦٦١، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٦، ص٢٩٦ – ٢٩٩.

الصلاة والسلام – ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بنبينا – صلى الله عليه وسلم – أو كانت في المنافقين، الذين أظهروا الإيمان وكفروا في السر، مرة بعد أخرى، فازدادوا كفراً بثباتهم عليه إلى الموت[1]، فماذا قال الشيعة المحرفون، يروي الكليني في الكافي بسنده إلى أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق – رحمه الله – قال: (نزلت في فلان وفلان وفلان، آمنوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين، ثم كفروا حيث مضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم، فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء)، وبهذا الإسناد عنه في قول الله – جل وعلا –: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ (محمد: ٢٥)، قال: (فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين)[2]، ومثل هذه النقول لا شك في براءة أئمة أهل البيت الطيبين الطاهرين منها، ولا حاجة لردها، فلو صار الشيطان الرجيم من المفسرين لا ستحى من هذا القول الذميم.

وأما تفسيرهم للأيات التي نزلت في مدح الصحابة الكرام بما يدل على ذمهم فكثير كثير. ومثال ذلك: قول ربنا الجليل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ (التوبة:٤٠)، وفيها من المدح والثناء ما لم يمدح بمثلها بشر على الإطلاق خلا السادة الأنبياء – على نبينا وعليهم جميعاً صلوات الله وسلامه – وهي نازلة في سيد الصديقين بالإجماع – رضي الله عنه وعنهم

---

(١) كما في النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج١، ص٣٦٩ – ٣٧٠، والشربيني، محمد بن أحمد، **السراج المنير**، ج١، ص٣٣٩.

(٢) الكليني، **الأصول من الكافي**، ج١، ص٤٢٠، وفيه تكرار فلان وفلان وفلان، وأحياناً الأول وصاحبه والثالث، وأحياناً يضم إليهم أبا عبيدة – رضي الله عنهم – في كل ما هو قبيح، كما في: ج١، ص١٩٥، ٤٢١، ج٨، ص٣٣٤.

جميعاً – وهذا يغيظ الشيعة السفهاء، كما أخبر رب الأرض والسماء: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ (الفتح: ٢٩)، نعم سيغيظ الله الشيعة وأشياعهم بالصحابة الكرام في الدنيا حيث شبه حالهم بحال الزرع في النماء والترقي ولا زالت ألسنة الصدق تلهج بفضلهم والثناء عليهم، وسيغيظ الله القهار الشيعة الأشرار بالصحابة الأبرار في دار القرار عندما يفوزون بالمغفرة والأجر العظيم المدرار من ربهم الكريم الغفار، ويتم غيظ أولئك الأشرار عندما يلقون في النار وبئس القرار.

أما آية التوبة التي مدح الله فيها صديق هذه الأمة – رضي الله عنه – فمن وجوه كثيرة، وهذا الفضل العظيم، والمدح الكريم لسيد الصديقين – رضي الله عنه – بماذا قابله أهل القلب السقيم. يقول عبد الله بن محمد رضا شبّر الكاظمي النجفي[1]، في تفسيره المختصر في مجلد واحد: "قوله عز وجل ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ لا مدح فيه، إذ قد يصحب المؤمن الكافر، كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ (الكهف: ٣٧)، ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فإنه خاف على نفسه واضطرب حتى كاد أن يدل عليهما، فنهاه – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ على الرسول – صلى الله عليه وسلم – وفي إفراده بها ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى. وجعل الهاء لصاحبه ينفيه كونها للرسول – صلى الله عليه وسلم – قبل وبعد"[2]. يُعرِّض كل هذا التعريض الفاحش البذيء وتفسيره مختصر جداً، ومن انطماس بصيرته وتدليسه لم يشر إلى ضمير

---

(١) الهالك سنة ١٢٤٢هـ، كما في: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١٣١، وفيه: مجتهد شيعي إمامي.

(٢) تفسير القرآن الكريم، ويسمى (**بالوجيز في تفسير القرآن**).

﴿مَعَنَا﴾، وما فيه من دلالة الرعاية والعناية والنصر والتأييد، لأن التلاعب بمدلوله يكشف ضلاله البعيد. هذا حال الشيعة الشنيع في مختصراتهم. وأما المطولات ففيها من البليات ما يستحى من ذكره من في قلبه ذرة من إيمان من تحريف للقرآن، وشرك بالرحمن، وطعن بالصحابة الكرام.

وبالختام فهذان الأمران في تفسير القرآن، يجعلان هذا المسلك ومسلك القول بتحريف القرآن الكريم سيان فهما صنوان، وفي الحقيقة لا يختلفان وللشيعة انحراف كثير في التفسير، لا يراعون فيه حقيقة شرعية ولا لغوية، ولا يتقيدون بالطرق السوية في تفسير كلام رب البرية، والشيء من معدنه لا يستغرب، فهم أجهل الناس في العقليات، وأكذبهم في النقليات.

ومسلك هذه الفرقة الزائغة نموذج واضح لمن لم تكتمل فيه أهلية التفسير، وجمع إلى ذلك سوء القصد في التأويل، فاكتمل فيه الضلال عن سواء السبيل، وبقية أنواع الزائغين لا يخرجون عن هذا المسلك الذميم في فهم القرآن الكريم، فكلهم يستقون من مستنقع وخيم، وألسنتهم متشابة في التلاعب بكلام رب العالمين، كما تشابهت قلوبهم في الكيد للإسلام ومقت المسلمين، اللهم ثبتنا على دينك القويم، واجعل هوانا تبعاً لشرع نبيك الكريم – صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني من الصنف الثاني: ممن لم تكتمل فيهم أهلية التفسير، وجمعوا إلى ذلك سوء القصد في التأويل، ولا انتساب لهم إلى شرع الله الجليل، وهؤلاء فرق كثيرة، من يهود ونصارى، ومستشرقين، وعلمانيين ملحدين، وفلاسفة لا يدينون بدين، ويجمعهم ذلك الوصف الذميم: عدم الأهلية، وسوء النية، والكفر بالشريعة الإسلامية. أسرهم الهوى باسم التحرر، وضلوا عن الهدى بزعم التعقل، وسقطوا على أم رؤسهم بخدعة بريق التطور، وحق عليهم قول العليم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩). وتحقق فيهم قوله

الحكيم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٣-٤٤).

المطلب الثالث

العقل والوحي والعلاقة بينهما

إن عقول الخلق وقلوبهم لا تهتدي ولا تسعد إلا بِهُدى من خلقهم، فهو أعلم بما يصلحهم ويسعدهم، وشرعه لعقولهم كالشمس لأعينهم، فالعين لا ترى من غير نور، والعقول لا تهتدي إلا بشرع العزيز الغفور، إن القلوب مقفلة على التمام، ولا يفك القفل عنها إلا الإيمان، دخل شيخ الإسلام الإمام الرباني أبو منصور الجواليقي – رحمه الله – على الخليفة المقتفي بالله فقال: السلام على أمير المؤمنين. فقال: ابن التلميذ النصراني – وكان قائماً، وله إدلال الخدمة والطب – ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ! فلم يلتفت إليه الإمام الجواليقي، وقال: يا أمير المؤمنين، سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية، ولو حلف حالفٌ أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث، لأن الله ختم على قلوبهم ولن يفك ختم الله إلا الإيمان. فقال: صدقت وأحسنت، وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر.(١)

إن صنم الوهم باسم العقل وحرية الفهم هو الأساس المتين والجامع المشترك بين الضالين من المتقدمين والمتأخرين واللاحقين، والمقولة المتفق عليها عند هؤلاء: إذا كان النص مقدساً، فالعقل مقدس أيضاً، فينبغي فهم النص على حسب العقل المقدس، وهذه المقولة فيها تلبيس كثير، فينبغي التحقيق في هذا الأمر الخطير، بتؤدة وفهم مستنير، لئلا ننحط في الفهم إلى الحضيض، ونحن نحسب أننا إلى الهدى بسرعة نسير، فيكون حالنا كما قيل:

---

(١) الجواليقي هو: موهوب بن أحمد شيخ أهل اللغة في عصره، كان منتفعاً به لديانته وحسن سيرته. توفي سنة ٥٤٠هـ – رحمه الله – ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، ص٨٩-٩١. وابن رجب الحنبلي، **الذيل على طبقات الحنابلة**، ج١، ص٢٠٤-٢٠٦. وابن التلميذ النصراني هو قسيس النصارى وشيخ الطب، وجالينوس العصر، وبقراط الوقت هبة الله بن صاعد، مات سنة: ٥٦٠هـ، ينظر، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٦، ص٦٩-٧٧. والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، ص٣٥٤.

وَكُلُّهُمْ فِي الْعَقْلِ يَمْشِي الْقَهْقَرَى يُرِيدُ قُدَّامًا فَيَجْرِي مِنْ وَرَا[1]

إن العقل مناط التكليف، وبه يحصل التفكر في أمر الله اللطيف، يستوي في ذلك أمر الله الشرعي الديني، وأمره الكوني القدري، فالحكمة والرحمة تسريان فيهما سريان الروح في ذراتنا. وقد قال الله الحكيم عن أمره الشرعي: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، وقال الله العليم عن أمره الكوني: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٤)، وشرع الله نوره وهداه، وهو للعقل كالشمس للعين، يهديه إلى ما ينفعه ويسعده، ويحذره مما يشقيه ويضره: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ (الإسراء: ٩). والعقل خلق الله، والشرع وحيه وهداه، ويستحيل تعارضهما فقد أحكم الحكيم كلاً منهما، فليس في خلقه تفاوت، وليس في شرعه تناقض، سبحانه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

ولذلك لا يمكن بحال أن يقع تعارض بين النقل الصحيح، والعقل الصريح، وإذا وقع تعارض بينهما، فالآفة قطعاً، فيهما، أو في واحد منهما. وذلك إذا كان النقل غير صحيح، أو العقل غير صريح.

(١) ينسب هذا البيت إلى ابن العُتبي كما في كتاب: الخطابي، **العزلة**، ص٦٩.

نعم كل منهما حق، وعند اجتماعهما يصل العاقل إلى عين الحق، لكن النقل إذا ثبت فلا يمكن أن يتطرق إليه الخطأ، أما العقل فيتأثر بمؤثرات كثيرة من شهوة وهوى، وتقليد، وإعجابٍ برأي نصرة لنفس، ورغبة ورهبة، وغير ذلك من المؤثرات، والدليل على هذا تفاوت العقول واختلافها، وتعارضها وتناقضها في أوجب الواجبات وأكمل الأخلاق الزاكيات. فالعبادة مثلاً تصرف عند بعض المحسوبين على العقلاء إلى البقر والشمس والقمر، والنار والشجر، والفئران والحجر، أين عقول هؤلاء الأذكياء؟! ثم تأمل كيف رضي بعض المحسوبين على العقلاء بتشريع وضعي لا يقبله أدنى وضيع، كتشريع وتقديس الفساد والانحراف الأخلاقي باسم الحرية في كثير من المجتمعات. حتماً سيقع التعارض نحو تلك الأمور بين العقول والمنقول.

والمنقول صحيح قطعي يقول في عبادة غير الله الغني: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٦٧). ويقول عن الانحطاط الخلقي: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢)، فالعقل المعارض للنقل الصحيح إذن ليس بصريح بل هو مختل قبيح. لقد وصل الانحطاط بالعقل البشري إلى إباحة الشذوذ الجنسي، بل إلى إباحة التزاوج بين الذكور، ولا داعي للإفاضة فواقعنا المعاصر علم ظاهر على أن العقل في هذا الوقت ضائع خاسر.

إذن لا عصمة للعقل، فالواجب عليه اتباع شريعة الله – عز وجل – (النقل) فله القداسة والعصمة، وقد تكفل الحفيظ بحفظه فهو اليوم وفيما بعده كيوم نزوله ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢).

وهذه المسألة العظيمة هي المعلم الفارق بين المهتدين والضالين، بين المؤمنين والكافرين، بين المتبعين والمبتدعين. قال الإمام أبو المظفر السمعاني: "اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور

تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة فقالوا: الأصل في الدين الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء". وقال بعضهم: "العقل حجة الله – عز وجل – على جميع الخلق، لأنه سبب التكليف، إلا أن صاحبه لا يستغني عن التوفيق في كل وقت، ونفس العقل بالتوفيق كان، والعقل محتاج في كل وقت إلى توفيق جديد تفضلاً من الله – جل وعلا – ولو لم يكن كذلك لكان العقلاء مستغنين عن الله – عز وجل – بالعقل، فيرتفع عنهم الخوف والرجاء، ويصيرون آمنين من الخذلان، وهذا تجاوز عن درجة العبودية، وتعدٍ عنها، ومحال من الأمر، إذ ليس من الحكمة أن ينزل الله – جل وعلا – أحداً غير منزلته، فإذا أغنى عبيده عن نفسه، فقد أنزلهم غير منزلهم، وجاوز بهم حدودهم، ولو كان هذا هكذا لاستوى الخلق والخالق في معنىً من معاني الربوبية، والله – جل وعلا – ليس كمثله شيء في جميع المعاني"[1]

هناك أمر آخر ينبغي الانتباه له، وهو: إن العقول مع تفاوتها وعدم ثبوت العصمة لها، هي أيضاً محدودة بحدود لا تستطيع مجاوزتها، ولذلك لا تحيط بالحكمة من جميع جوانبها فهذه طبيعة المخلوق الذي خرج من بطن أمه ولم يعلم شيئاً، ثم سيعود في كبره إلى الحالة التي كان فيها في صغره ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤)، ولذلك تأتي شريعة الله الحكيم بما تحار فيه عقول المخلوقين – لا بما يحيله العقل السليم – ليُسَلم المخلوق بعجزه وضعفه وجهله أمام قوة ربه وعلمه.

وللإمام ابن تيمية – رحمه الله – كلام سديد رشيد في هذه القضية، قال – رحمه الله –: "إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ولا العلم بصدقه موقوف علي كل ما

---

(١) كلام الإمام السمعاني في كتابه: **الانتصار لأهل الحديث** ، واختصره الإمام السيوطي في كتابه: **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام** في خمس وثلاثين صفحة، والكلام المنقول في: ص١٨٠-١٨١.

يخبر به العقل، قال بعضهم: يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول ومعاني كلامه وقال بعضهم: العقل متول ولِّي الرسول ثم عزل نفسه لأن العقل دل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والعقل يدل علي صدق الرسول دلالة عامة مطلقة، والرسل الكرام – عليهم الصلاة والسلام – صادقون مصدوقون لا يجوز أن يكون خبرهم علي خلاف ما أخبروا به قط والذين يعارضون أقوالهم بعقولهم عندهم من الجهل والضلال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال، فكيف يجوز أن يعارض ما لم يخطئ قط بما لم يصب في معارضته له قط؟"[1]، فهذان أمران في العقل: غير معصوم، وله حدود. وهناك اعتبار ثالث وهو تفاوت العقول في الزكاء كما تتفاوت في الذكاء، فقوة العقل كقوة الجسم، وكم من جسم قوي وصاحبه غوي، وكم من عقل ذكي لكنه غير زكي.

كم من ضال يستعمل ذكاءه فيما يضره ويضر غيره، ويجعله ذكاؤه أضحوكة لغيره، هذا حال من انحرفوا عن هدى أرحم الرحماء، كالفرق الضالة ومن شابههم كالسوفسطائية[2]، ودعاة تطبيق المنهجية التفكيكية، وسيأتي في منهج البحث بيان ما

(١) ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، ج١، ص١٣٨-١٤٢، وعن هذا الكتاب يقول تلميذه المبارك الإمام ابن القيم – رحمه الله – في كتابه: **طريق الهجرتين**، ص١٠٢، " كان ما شهدوه من ذلك بالعقل والفطرة لا بمجرد الخبر بل جاء إخبار الرب وإخبار رسوله مطابقا لما في فطرهم السليمة وعقولهم المستقيمة فتضافر على إيمانهم به الشريعة المنزلة والفطرة المكملة والعقل الصريح فكانوا هم العقلاء حقا وعقولهم هي المعيار فمن خالفها فقد خالف صريح المعقول والقواطع العقلية ومن أراد معرفة هذا فليقرأ كتاب شيخنا وهو بيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح فإنه كتاب لم يطرق العالم له نظير في بابه فإنه هدم فيه قواعد أهل الباطل من أسها فخرت عليهم سقوفه من فوقهم وشيد فيه قواعد أهل السنة والحديث وأحكمها ورفع أعلامها وقررها بمجامع الطرق التي تقرر بها الحق من العقل والنقل والفطرة والاعتبار فجاء كتابا لا يستغنى عنه من نصح نفسه من أهل العلم فجزاه الله عن أهل العلم والإيمان أفضل الجزاء وجزى العلم والإيمان عنه ذلك".

(٢) شرذمة من الفلاسفة زعيمهم سوفسطا وهم ثلاثة أقسام:

- العنادية: ينكرون حقائق الأشياء، ويزعمون أنها أوهام.
- اللا أدرية: ينكرون العلم بثبوت الأشياء، وينكرون العلم بعدم ثبوتها.
- العندية: يزعمون أن حقائق الأشياء تابعة للاعتقادات. =

يترتب على أفكارهم من تلاعب بالنصوص بما هو واقع ملموس – حفظنا الله الكريم من اختلال العقول وزيغ القلوب وفساد النفوس.

وعلاج الأبدان أيسر خطباً حين تعتل من علاج العقول[1]

فلنداوم على الالتجاء إلى ربنا صباح ومساء، بأن لا يكلنا إلى أنفسنا فنعجز، ولا يكلنا إلى أحد من خلقه فنضيع، اللهم لا تكلنا إلا إليك، ولا تجعل اعتمادنا في جميع أمورنا إلا عليك، ولنقتد بأعلم الخلق وأذكاهم، وأحكمهم وأزكاهم سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو – فداه نفسي – الأسوة الحسنة لنا في جميع شؤننا. ثبت في المسند وصحيح الإمام مسلم والسنن عن أمنا الصديقة عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: اللَّهم رب جبريل وميكائِيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنكَ، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم»[2].

اللهم هذه نواصينا بيدك، وقلوبنا بين أصبعين من أصابعك، اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، واجعل هوانا تبعاً لشرع نبينا – صلى الله عليه وسلم – في جميع أحوالنا، أنت ولينا وحسبنا.

وقد تكلم الإمام ابن الجوزي على هوسهم، وبين كيفية مناقشتهم. في كتابه **تلبيس إبليس**: ص٣٩-٤١. ولا يقول عاقل سليم العقل بشيء من هذا الزغل والدخل (غش وفساد) كما في ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١٩، ص١٣٥.

(١) أنشده بعض الحكماء كما في ابن الجوزي، **أخبار الحمقى والمغفلين**، ص٢٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج٦، ص١٥٦، والإمام مسلم في **صحيحه**، رقم: (٧٧٠)، والإمام الترمذي في **سننه** رقم: (٣٤١٦)، والحديث في **جامع الأصول**، ج٤، ص٨٨، رقم: (٢١٥٣).

الفصل الأول

المنهجية التفكيكية من المدلول إلى الآثار

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول

مدلول التفكيكية ونشأتها.

المبحث الثاني

منطلقات التفكيكية وآثارها على الخطاب القرآني.

الفصل الأول

المنهجية التفكيكية من المدلول إلى الآثار.

نشأت في أوروبا عدة مدارس فلسفية ومناهج فكرية لأهداف وغايات متعددة، وذلك بسبب الكبت والاضطهاد، والصراع الثقافي والحضاري، والأخلاقي، والديني الذي كانت تعيشه أوروبا، ولا زالت تعاني منه، وكان من تلك المناهج والفلسفات، المنهجية التفكيكية، وتعد المنهجية التفكيكية من أكبر وأقدم المدارس الفلسفية التي نشأت في الغرب وتأثر بها بعض مفكري العرب ونقادهم، وتعتبر المدرسة التفكيكية من أخطر المدارس الفلسفية في مرحلة ما يسمى ما بعد الحداثة[1]، وذلك لأنها تستهدف القضاء على أحد أهم وجوه الحضارة الإنسانية، وهذا الوجه هو اللغة، لأنه بالتشكيك باللغة وإفسادها يمكن التشكيك بكل المجالات وإفسادها من باب أولى.

---

(١) ما بعد الحداثة جاءت عقب مرحلة الحداثة وردة فعل عليها، والحداثة هي مرحلة من مراحل الحضارة الغربية، وهي عبارة عن مجموعة من المذاهب الملحدة كالماركسية، والوجودية، والرأسمالية، وغيرها من مذاهب تلك المرحلة، وتميزت مرحلة الحداثة بدعوتها لتحرير الإنسان من كل القيود، وإعطاء السلطة المطلقة للعقل بدون ضوابط، كما دعت إلى الثورة على الماضي وفك الارتباط بكل ماله صلة به سواء كان أحكاماً دينية، أو قيماً أخلاقية، أو موروثات ثقافية وإنسانية، بحجة أنها قديمة وتقيد الإنسان عن التطور والحياة الكريمة، ولا بد من التخلص منها وتفسير الكون تفسيراً عقلانياً علمياً، وكانت تلك المرحلة ترفع شعارات براقة مثل الحرية، والمساواة، وقدرة الإنسان على تحقيق السعادة بالعلم، وفهم العلم والتقدم الأخلاقي والمعرفي، ولكن بسبب اعتمادها على العقل القاصر وتخبطها في المذاهب الملحدة نتج عن تطبيقها:

١. الفوضى والغموض والإباحية والشذوذ باسم الحرية.
٢. استخدام العلم في التدمير والهلاك.
٣. استعمار الشعوب واستعبادهم.

فلم تحق شيئاً مما دعت إليه في بدايتها، فجاءت المرحلة التالية وهي مرحلة ما بعد الحداثة، وهي مرحلة تحتوي العديد من المذاهب الفلسفية، كالبنيوية، والتفكيكية وغيرهما، وجاءت مرحلة ما بعد الحداثة بكل مذاهبها لنقض كل أسس مرحلة الحداثة وفضحها، فشككت في العقل، وفي كل حقائق العلم، ونفت أن يكون هناك شيء ثابت، ودعت إلى فوضى المعاني وتشظيها، ومحاربة العلم والعقل.

ينظر: الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، **دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً**، ص٢٢٣-٢٣٠. حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص١٧٩-١٨٦.

وقد حاول بعض النقاد والمفكرين من أصحاب القراءات الحداثية المعاصرة نقل تلك الظاهرة والفلسفة التفكيكية وتطبيقها على القرآن الكريم، كما حصل للكتب السماوية المحرفة على يد فلاسفة الغرب ونقادهم، وهذا خطأٌ لاشك فيه، وذلك لما لتطبيق المنهجية التفكيكية على الآيات القرآنية من آثارٍ وأهدافٍ خطيرةٍ ستتبين بإذن الله في المبحثين الآتيين من هذا الفصل.

المبحث الأول: مدلول التفكيكية ونشأتها.

المبحث الثاني: منطلقات التفكيكية وأثرها على الخطاب القرآني.

المبحث الأول

مدلول التفكيكية ونشأتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مدلول التفكيكية.

المطلب الثاني: نشأة التفكيكية.

المطلب الأول: مدلول التفكيكية ونشأتها.

إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما هو مقرر عند أهل العلم، ومن هذا المنطلق سيتناول الباحث التفكيكية من خلال التساؤلات التالية: ماهي التفكيكية؟ وأين نشأت؟ وكيف نشأت؟ وفي أي ظروف؟ وغيرها من الأسئلة التي ستكشف المراد بالتفكيكية وتوضحها، بعيداً عن الخلافات الفلسفية والأدبية في المصطلحات وتفسيرها، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: مدلول التفكيكية.

المطلب الثاني: نشأة التفكيكية.

المطلب الأول

مدلول التفكيكية.

التفكيكية هي الترجمة الشائعة والمشهورة، والمعجمية، لكلمة (Deconstruction) وتعني أيضاً التقويضية، ويعد الباحث د. يونيل يوسف عزيز من المترجمين الأوائل لمصطلح (Deconstruction) بالتفكيكية ففي الكتاب الذي ترجمه وأصدره عام ١٩٨٧م المسمى (المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية)[١]، صرح بذلك في مقدمة الكتاب فقال: "ترجمت أيضاً بلفظ التحليلية البنيوية، ولكن لفظة التفكيكية أقرب"[٢]، وكذلك سار معظم النقاد على ترجمة مصطلح (Deconstruction) بالتفكيكية، وأبرزهم توفيق الزبيدي في كتابه (أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث)، ومحمد عصفور في مقدمة ترجمته لكتاب (البنيوية وما بعدها). ويمكن تعريف التفكيكية باعتبارين هما:

١. التفكيكية باعتبارها أداة تحليل.

هي فصل العناصر الأساسية في بناء ما عن بعضها بعضاً، لغرض اكتشاف الرابط بين هذه العناصر والمكونات، واكتشاف الثغرات ونقاط الضعف والقوة الموجودة في البناء، فالمحلل ينتقل من المركب إلى البسيط، ومن الكل إلى الجزء. فالتفكيكية بهذا الاعتبار هي أداة تحليل منهجي تستخدم في الكشف عن البنية الأساسية لأي فكرة أو نص، وعادة ما يتبع ذلك التفكيك إعادة بناء وتركيب لأن الهدف هو تعميق الفهم والوصول للحقيقة وفتح باب الاجتهاد، وإدراك واقع أن ما هو قائم يمكن تفسيره وفهمه بشكل أفضل وأحسن. ولا

---

(١) وليم راي، ترجمت: يونيل يوسف عزيز، **المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية**.

(٢) ينظر: عمر، أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ص ١٧٣٥. عناني، محمد، **المصطلحات الأدبية الحديثة**، ص١٣١.

تنطوي التفكيكية بهذا الاعتبار على أي مضمون أيديولوجي، وليس هدفها الهدم والتقويض، وهي بهذا الإعتبار ليست المرادة في موضوع هذا البحث[١].

٢. التفكيكية باعتبارها منهجاً نقدياً.

أما التفكيكية باعتبارها منهجاً نقدياً، فهي حركة جاءت بعد البنيوية في النقد الأدبي، وجعلها الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا[٢] عنواناً لمشروعه الفلسفي، وعرفها بأنها بحث أبدي في النسق الداخلي للنص أياً كان هذا النص وأياً كانت قداسته، وخلخلةٌ وتفكيكٌ لكل المعاني التي تستمد منشأها من اللوغس[٣] وبالخصوص معنى الحقيقة[٤]. وتحاول المنهجية التفكيكية تفكيك النص وتقويضه، وذلك من خلال البحث في داخله عما لم يقله بشكل صريح ولم يحتمله، وتعارض التفكيكية منطق النص الواضح وادعاءاته الظاهرة، وتبحث عن نقطة ضعفه وتناقضه، لكشف أستاره، وتقطيع أوصاله، لتصل إلى أساسه الذي يستند إليه، فيتضح تناقض هذا الأساس وضعفه ونسبيته، وتعددية المعنى لديه، وانفتاحه الكامل لجميع الاحتمالات والمعاني، وبذلك يفقد النص حدوده الثابته وتسقط عنه قداسته وثباته، ومن ثم تختفي الثنائيات والأصول الثابتة والحقيقة.

وقد استخدم جاك دريدا كلمة هدم أو تقويض في بداية الأمر ولكنه عدل عنها واستخدم بدلاً منها كلمة تفكيك ليخفي حقيقة مشروعه التقويضي الذي جاء لهدم وتقويض اللغة، والذي سيؤدي إلى موت الكلام وحضارة الكتاب وقد صرح جاك دريدا في تعريفه للتفكيكية بأنها تهاجم الصرح الداخلي سواء الشكلي أو المعنوي للوحدات الأساسية

---

(١) ينظر: عناني، محمد، **المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم عربي – انجليزي**، ص١٣٠ – ١٥٢.

(٢) فيلسوف فرنسي، وهو مؤسس التفكيكية بصورتها الحالية، فقد طرح اراءه في ثلاثة كتب نشرت في سنة ١٩٦٧م. وستأتي ترجمته بالتفصيل عند الحديث عن نشأة التفكيكية في هذا البحث.

(٣) اللوغس كما في المعجم الفلسفي تعني حرفياً الكلمة الإلهية، وتستعمل عند الفلاسفة بمعنى الحقيقة أو الشيء الصادر من الإله، وتعددت استعمالات المدارس الفلسفية لهذه الكلمة ولكنها تدور حول نفس المعنى، ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٥٤٦ وما بعدها.

(٤) ينظر: كوفمان، سارة، لابورت، رجي، **مدخل إلى فلسفة جاك دريدا تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر**، ترجمة: ادريس كثير وعز الدين الخطابي، ص١٣ وما بعدها.

للتفكير الفلسفي، بل تهاجم ظروف الممارسة الخارجية، أي الأشكال التاريخية لهذا النسق، ثم هو لا يذكر بديلاً لهذا النسق المفكك، فهو في الحقيقة تقويض وهدم وإن سمي تفكيكاً[١]، يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري "يمكن القول بأن مشروع دريدا الفلسفي هو محاولة هدم الأنطولوجيا الغربية اللاهوتية (أونطوثيولوجي Ontotheology) بأسرها والوصول إلى عالمٍ من صيرورةٍ كاملةٍ عديمة الأساس لا يوجد فيها لوغس[٢] ولا مدلول متجاوز، ولذا فهو عالم بلا أصل رباني، بل بلا أصل على الإطلاق، ولذا لا توجد لغة، وإن وجدت لغة فهي لغة الجسد بإعتبار أن الجسد يجسد المعنى، فلا ينفصل الدال عن المدلول. والنصوص تتداخل بعضها مع بعض، ولا يمكن الحديث عن نص مقابل نص آخر، ولا عن نص في مقابل الواقع، كذلك لا يمكن الحديث عن نص مقابل معنى النص، إذ لا يوجد شيء خارج النص ولا يوجد أصل للأشياء، فكل نص يحيل إلى أخر إلى ما لا نهاية، وبذا يكون قد تم إنهاء الميتافيزيقا[٣]. وتصبح هذه الرؤية العدمية الفلسفية هي التفكيكية حينما تصبح منهجاً لقراءة النصوص"[٤].

فالتفكيكية بهذا الاعتبار هي إحدى مدارس الفلسفة والنقد الأدبي الحديث التي ظهرت في أوروبا على أنقاض البنيوية، بل قامت التفكيكية كردة فعل على البنيوية ورفضت أكثر معاييرها وقيمها، وقامت التفكيكية على استحالة الوصول إلى فهم متكامل أو متماسك للنص أياً كان، وعلى اعتبار سلطة القراءة المطلقة وإغفال السلطتين الأخريين وعدم اعتبارهما عند الحكم على النص وتقويمه، وتعتبر التفكيكية أحد أوجه ما بعد الحداثة

---

(١) ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج٥، ص٦٨٥ وما بعدها.

(٢) سبق بيان معنى (اللوغس) في صفحة ٦٢.

(٣) ميتافيزيقيا أو ما بعد الطبيعة، وهي شعبة من الفلسفة تبحث في ماهية الأشياء وعلة العلل، أي القوة المحركة لهذا العالم. فقد ظهر للإنسان منذ القدم أن الكون بمخلوقاته المتعددة وعناصره المادية لم يوجد بذاته، وأن وراءه من غير شك قوة مطلقة هي التي أوجدته وهي التي تسيره. ومع الأيام أخذ الإنسان يفكر في هذه القوة العلوية تفكيراً فلسفياً، وعن هذا التفكير الفلسفي نشأت الميتافيزيقيا. وعليه فإن لفظة الميتافيزيقيا تلخِص في ذاتها جوهر البحث عن (علة الموجودات) باعتبار أن هذه العلة كامنةً وراء الظواهر المادية في أية حال.
ينظر: سعيد، جلال الدين، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، ص٤٦٠-٤٦١.

(٤) المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**،، ج٥، ص٦٨٦.

المعادية للعقلانية وللكليات سواء كانت مادية أو دينية، كما أنها تهاجم فكرة الأساس وترفض المرجعية الفكرية والأخلاقية والثوابت، وترى أنه لا توجد حقيقة واحدة بل مجموعة من الحقائق النسبية المتناثرة، وأن عملية القراءة والتفسير هي عملية اصطناعية محضة يقوم بها القارئ الذي يقوم بالتفسير، يقول الدكتور مصطفى حسيبة: "ومثل هذا التفكيك (Deconstruction) ليس مجرد آلية في التحليل أو منهجاً في الدراسة وإنما رؤية فلسفية متكاملة، وهي فلسفة يؤدي التفكيك فيها إلى تقويض ظاهرة الإنسان وأي أساس للحقيقة، ورائد هذه الفلسفة هو جاك دريدا الذي استخدم في أولى دراساته الفلسفية اصطلاح تخريب أو تقويض (Destruetion) ثم استخدم تفكيك (Deconstruction) ربما ليخبئ الطبيعة العدمية لمشروعه الفلسفي"[(١)].

وفي الحقيقة إن المنهجية التفكيكية لا تختلف عن كلام السوفسطائية[(٢)] الذين سبقوا جاك دريدا بأكثر من ألفي عام، بل هي متطابقة في مجملها، في نفي الحقيقة والمركز وصيرورة المعاني وتعددها، غير أن جاك دريدا نظم هذه الفلسفة وجعل لها قواعداً وحدوداً ونظرياتٍ فلسفيةٍ على حد قول الشاعر:

لَقَد كانَ فينا الظُلمُ فَوضى فَهُذِّبَت حَواشيهِ حَتّى باتَ ظُلماً مُنَظَّما[(٣)]

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "قد قرر دريدا أن يفكر في الأمر الذي لا يمكن التفكير فيه وهو أن ينطلق، كفيلسوف من الإيمان بعدم وجود أصل من أي نوع، ومن ثم يسقط كل شيء بشكل كامل في هوة الصيرورة (أبوريا) وتتم التسوية بين كل الأشياء من

---

(١) حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص١٤٤.

(٢) يقول الدكتور مصطفى حسيبة: "لقد ارتبط مفهوم السفسطة بالحركة السفسطائية وهي حركة فكرية واجتماعية نشأت وترعرعت في اليونان القديمة خلال القرن الخامس قبل الميلاد ورفعت شعار (الإنسان مقياس كل شيء) ودافعت عن نسبية الحقيقة وارتباطها بالظروف المتغيرة، فانتهت إلى التأكيد على أهمية اللجوء للحيل الخطابية والألاعيب القولية لتحقيق المصالح الشخصية" ينظر: مصطفى، حسيبة، **المعجم الفلسفي**، المرجع السابق، ص٢٥٩ وما بعدها.

(٣) ينسب بيت الشعر هذا إلى الشاعر المصري؛ حافظ أحمد ابراهيم، ولد ١٨٧٢م، وله عدة دواوين شعرية، ولقب بشاعر النيل، وشاعر الشعب، توفي ١٩٣٢م.

خلال مفاهيم مثل الاخترجلاف (الاختلاف/ الإرجاء) وسيلاحظ القارئ أن دريدا ودعاة ما بعد الحداثة يستخدمون مصطلحات كثيرة تبدو جديدة. فهناك مصطلح مثل (القصة الكبرى) أي النظرية العامة، و(القصص الصغرى)[١]، و(التمركز حول اللوغس)[٢]، و(التمركز حول المنطوق)[٣]،

---

(١) القصة الكبرى والقصة الصغرى تعني حسب تعريف الدكتور عبد الوهاب المسيري بتصرف مني بأنها: بديل لكلمة رؤية أو نظرية أو نموذج، وأن اصحاب المنهجية التفكيكية يستخدمون كلمة (قصة)، بدلاً من كلمة (رؤية) أو (نظرية) أو (نموذج)، لأن الرؤية والنظرية إذا كانت مجرد قصة، فهي إذن نسبية ولا تشير إلى ما هو خارجها وعلاقة القصة الصغرى بالقصة الكبرى هي علاقة الخاص بالعام، فكل النظريات قصص، ومن ثم فالحقيقة الدينية بل الإنسانية غير ممكنة، والمعرفة أمر غير وارد، ولا يوجد أساس لكتابة تاريخ عام، ولا توجد نظرية للكون، ولا توجد حدود إنسانية شاملة ومشتركة. لمزيد من التفصيل ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج٥، ص٦٦٤-٦٦٥.

(٢) التمركز حول اللوغس تعني: المبدأ الثابت الواحد ويرى دريدا أن الفكر الغربي فكر متمركز حول اللوجوس، فكلمة اللوجوس تعني الأصل وكل شيء يستند إليه، والنظريات المتمركزة حول اللوجوس تدعي لنفسها العالمية والشمول، وأن نقطة مرجعيتها موجودة خارجها، وأنها تستمد معقوليتها من هذه النقطة. حسب ما عرفها الدكتور عبد الوهاب المسيري بتصرف مني، ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج٥، ص٦٦٣-٦٦٤.

(٣) التمركز حول المنطوق هو حسب تعريف الدكتور عبد الوهاب المسيري بتصرف مني: أنها إحدى الإشكاليات الفلسفية التي يطرحها دريدا وهي مرتبطة بهجومه على الأفكار الكلية، وبمحاولة دفع كل شيء في قبضة الصيرورة، ويرى دريدا أن تراث الحضارة الغربية الفكري يقوم على ثنائية المنطوق/المكتوب، وأن المنطوق له أولوية وأسبقية على المكتوب، أي أن اللغة المنطوقة في مرتبة أعلى من اللغة المكتوبة، فالكلام المنطوق تنطق به ذات إنسانية متماسكة تتحدث عن أفكار مستقرة في الذهن، فكأن هناك ذاتاً مستقرة وموضوعاً مستقراً. والمنطوق، بذلك، يشير إلى الأصل (الحضور واللوجوس) بشكل مباشر وبدون وساطة، هذا على عكس الكلام المكتوب، فكاتبه غائب وبعيد لا يتفاعل مع المتلقي بشكل مباشر، فالنص المكتوب منفصل عن كاتبه، وأصبح نصاً يمكن تداوله وإعادة طبعه وتفسيره، ويمكن استخدامه بطرق لا يمكن أن تخطر على بال للإنسان الذي كتبه. ولذا فإن أي تفضيل للمنطوق على المكتوب هو تعبير عن التمركز حول اللوجوس. ولهذا نرى هجوم المنهجية التفكيكية على المنطوق وتأكيد أسبقية المكتوب وما يحل محل المنطوق عندهم هو ما يسميه دريدا النص، والنص هو نص مكتوب ليس لديه علاقة بكاتبه. فهو رغم ثباته، مجرد كلمات مثبتة على ورق ومؤلفه قد مات وانفصل عن النص ويمكن أن يفعل به الناقد ما يريد لأنه دخل شبكة الدوال والصيرورة، فكل كلمة تشير إلى كلمة أخرى، وكل نص يشير إلى نص آخر، وهي عملية تستمر إلى ما لا نهاية، وهنا يصبح الثابت متحولاً والكل جزئياً والمطلق نسبياً. وبدلاً من المؤلف يظهر القارىء، وبدلاً من النص =

و(الابوريا)[1]، و(الاخترجلاف)[2]. وهي مصطلحات تدعي أنها جديدة وهي أبعد ما تكون عن الجدة، فهي تعبر عن أفكار ومفاهيم عدمية. فقد يكون المنطوق نفسه جديداً، ولكن المفهوم وراء المصطلح قديم قدم الفلسفة اليونانية القديمة والكتب العدمية مثل سفر الجامعة في العهد القديم"[3].

الذي ينقل للقارئ معنى كامناً في عقل المؤلف يظهر المفسر الذي يستولي على النص ليولد منه ما يشاء من معان. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج٥، ص٦٧٢-٦٧٥.

(١) حسب تعريف الدكتور عبد الوهاب المسيري بتصرف مني، فإن كلمة أبوريا هي كلمة يونانية وتعني الهوة التي لا قرار لها. وهي عكس الحضور الكامل أو الأساس الذي نطمئن إليه. وإذا كان الحضور هو الحقيقة والثبات والتجاوز والعلاقة بين الدال والمدلول والتحامهما، فالهوة هي الصيرورة الكاملة التي لا يفلت من قبضتها شيء، فهي دليل على أن الواقع متغيِر بشكل دائم. ولا مهرب من التغير، فحتى التغير نفسه متغير. وهي دليل على أن اللغة قوة لا يمكن التحكم فيها. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج٥، ص٦٦٩-٦٧١.

(٢) عرف الدكتور عبد الوهاب المسيري الاخترجلاف بقوله "الاخترجلاف كلمة قمنا بنحتها من كلمتي (اختلاف) و(إرجاء) وتحتوي الكلمة على معنى الاختلاف (في المكان) ومعنى الإرجاء (في الزمان ويرى التفكيكيون أن المعنى يتولَّد من خلال اختلاف دال عن آخر، فكل دال متميِّز عن الدوال الأخرى. ومع هذا، فثمة ترابط واتصال بين الدوال، فكل دال يتحدد معناه داخل شبكة العلاقات مع الدوال الأخرى، لكن معنى كل دال لا يوجد بشكل كامل في أية لحظة (فهو دائماً غائب رغم حضوره) إذ إن كل دال مرتبط بمعنى الدال الذي جاء قبله والذي جاء بعده، ووجوده نفسه يستند إلى اختلافه. ويضرب دعاة ما بعد الحداثة مثلاً بالبحث عن معنى كلمة في القاموس فإن أردت أن تعرف معنى كلمة «قطة» فسيتحدد معناها من خلال اختلافها مع كلمتي «نطة» و«بطة». كما أن القاموس سيخبرنا أن «القطة حيوان» فسنذهب لكلمة «حيوان» لنعرف معناها، وهناك سنعرف أنه «كائن ذو أربعة أرجل» فسننظر لمعنى كلمتي «كائن» و«أرجل» إلى ما لا نهاية، فكل تفسير يؤدي إلى تفسير آخر. وهذا يعني أن مدلول أي دال مُعلَّق ومؤجل إلى ما لا نهاية، وهو ما يؤدي إلى لعب الدوال اللامتناهي" وأضاف "والاخترجلاف ليس هوية أو أساساً أو جوهراً أو أصلاً وإنما هو قوة كامنة وحالة في اللغة نفسها يحركها من داخلها فيفصل الدال عن المدلول، ولذا يصبح عالم الدوال مستقلاً عن عالم المدلولات... ومن ثم تصبح اللغة قوة لا يمكن التحكم فيها. ولأن الاخترجلاف كامن في اللغة، فليس بإمكان أي شيء أن يهرب منه، فهو ممثل الصيرورة داخل النسق اللغوي، وسيلة الإنسان الوحيدة للتعامل مع الواقع والتواصل مع بقية البشر... فالحضور الوحيد بالنسبة له هو عملية لا متناهية في الزمان والمكان ولا يعرف الزمان أو المكان. والاخترجلاف - كما أسلفنا - يتم على أساس الاختلاف في المكان والإرجاء في الزمان، فهو لا يستقر فيهما أبداً ولا يمكن أن يصبح هو هو". ينظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج٥، ص٦٦٦-٦٦٧.

(٣) المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**،، ج٥، ص٦٨٥-٦٨٦.

المطلب الثاني

نشأة التفكيكية

لابد عند الحديث عن نشأة التفكيكية من التطرق إلى الأوضاع التي مهدت لظهورها، وعن مؤسسها جاك دريدا الذي تنتمي له المدرسة التفكيكية، ثم عن وصولها للمجتمعات العربية والإسلامية.

الظروف التي مهدت لظهور التفكيكية.

تعود بداية ظهور التفكيكية إلى منتصف الستينات من القرن العشرين في أوروبا كردة فعل على البنيوية، وهيمنة اللغة، والتمركز حول العقل، وهيمنة اللسانيات على كل حقول المعرفة، وكان ظهور التفكيكية نتاجاً طبيعياً وإفرازاً لما كان عليه الوضع في أوروبا، حيث كانت بذور التفكيكية موجودة في العقل الغربي سواء الفلسفي أو الديني، المتمثل بقطع العلاقة مع الدين، رغم ما كان يشوب تلك العلاقة من انحراف وتشويه، بالإضافة إلى الشك السائد في الفلسفات الغربية، والشعور الشديد باليأس والإحباط والخديعة بسبب عدم القدرة على تحقيق السعادة للإنسان بالعلم، حيث لم يجن الإنسان بعد فترة طويلة من الاعتداد بالعلم إلا الدمار والجهل المتفاقم خاصة بعد استعمال العلم في التدمير، في حادثة إلقاء الولايات المتحدة الأمريكية القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيما ونكازاكي في اليابان[1]، هذه الظروف بالإضافة إلى وجود كم هائل من النظريات والفلسفات التي كانت تسود المجتمعات الغربية، كالمثالية[2]،

---

(١) كان ذلك الهجوم الذي شنته الولايات المتحدة ضد اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية في أغسطس عام ١٩٤٥م، حيث قامت الولايات المتحدة بقصف مدينتي هيروشيما ونكازاكي باستخدام قنابل نووية. ينظر: كارتييه، ريمون، **الحرب العالمية الثانية**، ترجمة: سهيل سماحة وانطوان مسعود، ص٣٥٣ ومابعدها.

(٢) المثالية: هي مذهب فلسفي يقوم على أن الكون عبارة عن صور وأفكار، وأن العقل مصدر المعرفة، والأرواح هي الفاعل ومن تمتلك الإرادة، وأن الشيء المادي والمحسوس ثانوي، واللامادي والروحي أولي، وهي اتجاه فلسفي يبحث=

والماركسية[١]، والرأسمالية[٢]، والوجودية[٣] وغيرها، وكان آخر تلك الفلسفات والنظريات هي البنيوية[٤]، التي قامت على أنقاضها التفكيكية وأعلنت موتها، أدى كل ذلك إلى ظهور أرض خصبة لفكر وفلسفة جديدة بخلاف كل ما سبق تجربته من قبل، وهذا أدى إلى بزوغ وظهور التفكيكية وانتشارها، وكان أول ظهور لها في الصحف الفرنسية باسم مابعد البنيوية قبل أن تنتقل إلى أمريكا وباقي الدول الغربية، وفي عام ١٩٦٦م تحديداً كان ظهور التفكيكية المدوي وموت البنيوية، ففي شهر اكتوبر من عام ١٩٦٦م أقامت جامعة جون هوبكنز في الولايات المتحدة الأمريكية ندوة حول (لغات النقد وعلوم الإنسان) شارك فيها عدد من النقاد من مختلف التوجهات، وكان من بينهم جاك دريدا مؤسس المدرسة

عن مسألة الوجود، في حين أن الفلسفات العقلانية تبحث في أصل المعرفة. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٥٨١-٥٨٤.

(١) الماركسية: هي نظريات سياسية وإجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وهو فيلسوف من أصول ألمانية من القرن التاسع عشر. وهو عالم إقتصاد، وفيلسوف، سميت بالماركسية نسبة إلى مؤسسها الأول كارل ماركس، أسس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريدريك إنجلز، فقد كان الاثنان اشتراكيان بالتفكير، لكن مع وجود الكثير من الأحزاب الاشتراكية، تفرد ماركس وأنجلو بالتوصل إلى فكرة الاشتراكية كتطور حتمي للبشرية وفق المنطق الجدلي وبأدوات ثورية. فكانت مجمل أعمالهما تحت اسم واحد وهو الماركسية أو الشيوعية العالمية، وتنقسم الماركسية إلى ثلاثة أقسام هي: فلسفة ماركسية، واقتصاد سياسي ماركسي، والشيوعية العلمية. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٥٧٦-٥٨١.

(٢) الرأسمالية: هي نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية تقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية. والرأسمالية تعزز الملكية الفردية، وتقلص الملكية العامة، وتقوم على عدة امور منها، البحث عن الربح بشتى الطرق والأساليب وتقديس الملكية الفردية. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٢٢٨-٢٣٦.

(٣) الوجودية: هي تيار فلسفي يميل إلى الحرية التامة في التفكير بدون قيود ويؤكد على تفرد الإنسان، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. ولاسلطة تأثير مباشر لقوة خارجية أي (الإله) على الإنسان، يعني بأن الفرد حر بالكامل، والإنسان هو من يختار ويقوم بتكوين معتقداته والمسؤولية الفردية خارجاً عن اي نظام مسبق. وتنقسم الوجودية إلى قسمين: الوجودية الملحدة، والوجودية المسيحية. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٦٨٠-٦٩٢.

(٤) البنيوية: هي منهج فلسفي نقدي ملحد يقوم على أن كل ظاهرة أدبية أو إنسانية تشكل بنية لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى أجزاءها المؤلفة منها، دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظوهر الحسية فقط، ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص١١٦-١١٧.

التفكيكية ورائدها بشكلها الحديث، وكانت مشاركته التي تعتبر اليوم أساس التفكيكية بعنوان (البنية، اللعب، العلامة في خطاب العلوم الإنسانية) لها أثر كبير في ظهور التفكيكية وانتشارها وانهيار البنيوية.

مؤسس التفكيكة.

يعتبر مؤسس الفلسفة التفكيكية في الأصل بما كتبه من نظريات كان لها تأثير كبير على الكثير من المدارس الفلسفية في القرن العشرين، وعلى رأسها التفكيكية، مؤسس الفلسفة الوجودية، الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر (Martin Heidegger)، وقد ولد عام ١٨٨٩م، في جنوب ألمانيا، ودرس اللاهوت في جامعة فرابيورغ، وتتلمذ فيها على يد إدموند هوسرل مؤسس الظاهراتية، ثم عين بها أستاذاً ووجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والحرية، والحقيقة، وغيرها من المواضيع التي تهم الإنسان في وجوده، وبعد حصوله على الدكتوراه سنة ١٩١٦م، عين استاذاً للفلسفة في جامعة ماربورغ، ثم أصبح رئيساً للجامعة عام ١٩٣٣م، وانتسب للحزب النازي، وبعد هزيمة ألمانيا عام ١٩٤٥م منع من التدريس فترة، ثم عاد عام ١٩٥٠م للتدريس وممارسة الأنشطة الثقافية إلى حين وفاته عام ١٩٧٦م، ودفن في مسقط رأسه في مسكيرش جنوب ألمانيا، وترك مؤلفات أهمها (الوجود والزمان) صدر عام ١٩٢٧م، وكتاب (ما الذي يسمى فكراً) صدر عام ١٩٤٥م، وكتاب (المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا) صدر عام ١٩٢٩م، وكتاب (ماهية الحقيقة) صدر عام ١٩٤٣م، وغيرها من الكتب[١]. ولكن الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا بعد قراءته لفلسفات أفلاطون[٢]،

---

(١) ينظر: **الموسوعة العربية**، ج٢١، ص٣٥١.

(٢) هو أرسطوقليس، الملقب بأفلاطون بسبب ضخامة جسمه، فيلسوف يوناني وأحد أشهر فلاسفة الغرب عاش بين ٤٢٧ ق.م – ٣٤٧ ق.م، وجميع الفلسفات الغربية قائمة على فلسفاته ونظرياته الكثيرة منها: طريقة الحوار وتقسيم العالم إلى قسمين الأول عالم محسوس عالم التعددية والصيرورة والفساد وهذا العالم يقع بين الوجود واللاوجود، والعالم الثاني عالم المثل عالم ما قبل العالم الحسي أو المادي، يكون فيه الإنسان على علم بجميع العلوم والخفايا، =

وهيجل[١]، وروسو[٢]، ونيتشه[٣]، وهوسرل[٤]، وهايدغر وغيرهم من كبار الفلاسفة انبثق على يديه وتبلور عنده فلسفة المنهجية التفكيكية، فتبنى المدرسة التفكيكية وعممها في الفكر الغربي، وانتشرت بشكل سريع في الفكر الفرنسي المعاصر، وأصل لها فارتبط اسمها به، ويعد هو أهم مؤسسي المدرسة التفكيكية وأبرز رموزها، وقد نشأت على أنقاض البنيوية عام ١٩٦٦م، يقول الدكتور سامر فاضل الأسدي: "إذا كان هوسرل هو من فتح باب الفلسفة لدريدا، ومكنه من استغلال مفهوم التعليق في مشروعه النقدي، فإن هايدغر هو الذي أرشده إلى أهمية التفكيك، بوصفه مشروعاً لابد منه لإجراء تقويض الصرح الفلسفي، الذي يشدد على الموجود (أنا أفكر أنا موجود)، ويهمل الوجود ذاته، فهو يحمل

وعند ذهابه إلى العالم الحسي أي حينما يولد يكون قد نسي كل تلك العلوم، وما عليه إلا أن يتذكرها في العالم الحسي. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٧٥-٨٢.

(١) هو جورج فيلهلم فريدريك هيغل، ولد في العام ١٧٧٠م في جنوب ألمانيا، وتوفي عام ١٨٣١م، ويعد هيغل من أهم مؤسسي الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، تقوم فلسفة هيغل المثالية على اعتبار أن الوعي سابق للمادة، ترك هيغل ما يزيد على عشرين مجلدا نشرت بالألمانية، وتُرجم معظمها إلى عدة لغات، من بينها العربية. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**، ص٦٦٧-٦٧٦.

(٢) هو جان جاك روسو ولد عام ١٧١٢م في سويسرا لعائلة فرنسية، وتوفي عام ١٧٧٨م، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة، وكان يعتقد أن الناس ليسوا مخلوقات اجتماعية بطبيعتهم، وله الكثير من المؤلفات في مجال الفلسفة والتربية. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٣٢٨-٣٣٢.

(٣) هو فريدريك نيتشه، فيلسوف ألماني ولد عام ١٨٤٤م، وتوفي عام ١٩٠٠م، وكان عالماً في الفلسفة واللغويات، وأعلن مقتل الإله ودعا إلى التحرر من المسيحية، له مؤلفات كثيرة ترجمت إلى مختلف اللغات ومنها العربية. ينظر: حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي**،، ص٣٧٦-٣٨٣.

(٤) هو إدموند هوسرل ولد عام ١٨٥٩م في تشيكوسلوفاكيا، وتوفي عام ١٩٣٨م، فيلسوف ألماني وهو ومؤسس الظاهريات، له مؤلفات كثيرة. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٧١٢-٧١٤.

ميتافيزيقيا[1] متعالية، تتضمن عيوباً كثيرة لابد من تجاوزها، تشديداً على التنوع وحصولاً للجدة والاختلاف"[2].

كان الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا متعدد المواهب، فهو فيلسوف وقارئ نصوص من التراث الفلسفي الغربي، بدأ نظريته بنقد الفكر والفسفات الغربية، وعلى رأسها الفكر البنيوي الذي كان سائدًا آنذاك، ووجه انتقادا شديداً للفكر البنيوي، حيث ذهب إلى أن فكرة البنيوية كانت تفترض دائما مركزاً من نوع ما للمعنى، هذا المركز يحكم البنية، ولكنه هو نفسه ليس موضوعا للتحليل البنيوي، وكان ينكر القدرة على الوصول لحل مشكلة الإلحالة بالطرق التقليدية، أي قدرة اللفظ على إحالتنا إلى شيء ما خارجه، وكان يقول: "اذا كان التفكيك مدمراً حقاً فليدمر ما شاء من الأبنية القديمة المشوهة من أجل أن نعيد البناء من جديد".

ولد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (Jakie Derrid) في بلدة الأبيار قرب الجزائر العاصمة، عام ١٩٣٠م، وهو ينتمي للديانة اليهودية، التحق عام ١٩٤١م بشعبة الفلسفة في المدرسة الثانوية (Gauthier) في مدينة الجزائر، وتتلمذ فيها على يد ألبير كامي[3]، وتحصل على قراءة أفكار برغسون[4]،

---

(١) سبق تعريفها في ص٦٣.

(٢) الأسدي، سامر فاضل، **البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل**، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٣) ألبير كامي، فيلسوف وجودي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي- جزائري، ولد عام ١٩١٣م وتوفي عام ١٩٦٠م، وتقوم فلسفته على فكرتين رئيستين هما العبثية والتمرد وله كتابان فيهما فلسفته وهما كتاب (أسطورة سيزيف) أصدره عام ١٩٤٢م، وكتاب المتمرد أصدره عام ١٩٥١م. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٥١٢.

(٤) هنري برغسون، فيلسوف فرنسي ولد عام ١٨٥٩م وتوفي عام ١٩٤١م، حصل على جائزة نوبل للآداب عام١٩٢٧م. يعتبر هنري برغسون من أهم الفلاسفة في العصر الحديث، حاول في فترة الخمسينيات أن ينفذ القيم التي اطاحها المذهب المادي، ويؤكد إيمانا لا يتزعزع بالروح، حظي إبّان حياته بشهرة واسعة الانتشار في فرنسا أثرت في دوائر مختلفة فلسفية ودينية وادبية. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**،، ص١٦٠-١٦٦.

وسارتر[1] وكان مولعاً بالأدب، وتشكلت لديه ميول قوية تجاه الفلسفة، حيث قرأ فلسفات كيركغارد[2] وهايدغر قراءة عميقة، وفي عام ١٩٤٩م ترك الجزائر لأداء الخدمة العسكرية، وكان قد طرد من المدرسة في الجزائر بسبب قانون مناهضة السامية الذي أصدرته السلطات الفرنسية المحتلة للجزائر وقتها، وبعد انتقاله لفرنسا أكمل دراسته وانتظم في مدرسة لوي – لي غران (Louis-Le-Grand) في باريس، وقرأ في تلك الفترة لمجموعة من الفلاسفة، مثل سارتر[3]، وغابرييل مارسيل[4]، وغيرهم. ثم على حصل منحة للدراسة في جامعة هارفارد، في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي عام ١٩٦٠م عين مدرساً للفلسفة العامة والمنطق في جامعة السربون، في فرنسا. ثم انتقلت عائلة جاك دريدا للاستقرار في فرنسا بعد استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م.

صدر أول كتاب له عام ١٩٦٢م وهو عن هوسرل بعنوان (أصل الهندسة) وشارك جاك دريدا في مؤتمر ضخم في الولايات المتحدة الأمريكية أقامته جامعة جون هوبكنز، تحت عنوان (لغات النقد وعلوم الإنسان) وكانت مشاركته ببحث تحت عنوان (البنية، العلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية) ومنذ ذلك الحين أصبح جاك دريدا مشهوراً في أفق

---

(١) جان بول شارل ايمارد سارتر ولد عام ١٩٠٥م في باريس وتوفي عام ١٩٨٠م، هو فيلسوف وروائي وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية استاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، له العديد من المؤلفات المنشورة. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٣٤٨-٣٥١.

(٢) سورين كيركغارد، فيلسوف لاهوتي دنماركي، ولد عام ١٨١٣م، وتوفي عام ١٨٥٥م، كان لفلسفته تأثير حاسم على الفلسفات اللاحقة، لا سيما في ما يعرف بالوجودية المؤمنة، تُركز الكثير من أعماله اللاهوتية على الأخلاقيات المسيحية والكنيسة وعلى الإختلافات بين الدلائل الواضحة للمسيحية والعلاقة المباشرة للفرد مع السيد المسيح – على نبينا وعليه صلوات الله وسلامه –، تأثر تفكيره بالكتاب المقدس وسقراط ومنهجية سقراط. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٥٦٠-٥٦٣.

(٣) سبق ذكر ترجمته ص٧١.

(٤) غابرييل مارسيل فيلسوف فرنسي، ولد عام ١٨٨٩م في باريس، وتوفي عام ١٩٧٣م، كان أحد مؤسيي ما يعرف بالوجودية المسيحية، له العديد من الأعمال والمؤلفات. ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٦٣٢-٦٣٣.

المدارس النقدية المعاصرة، وشارك بعدها في العديد من المؤتمرات والندوات، مثل مؤتمر جمعية فلسفة اللغة الفرنسية في مونتريال (Montreal) بكندا، ومؤتمر عن نيتشه في (Cerisy)، ومؤتمر فلسفة اللغة في ستراسبورغ، ومؤتمر الفلسفة وتطور العلوم في افريقيا والذي عقد في بنين، وغيرها من المؤتمرات والندوات.

وفي عام ١٩٦٧م ألقى جاك دريدا محاضرته الشهيرة في الجمعية الفلسفية تحت عنوان (الاختلاف)، ثم أصدر كتبه الثلاثة المهمة وهي: (الصوت والظاهرة)، وكتاب (الكتابة والاختلاف)، وكتاب (عن الغراماتولوجيا)، ومنذ ذلك الوقت نال جاك دريدا وفلسفته التفكيكية إعجاباً وتقديراً عالمياً، وذاع صيته في أوروبا وخارجها، واختير لعضوية كثير من الأكاديميات والجامعات كأكاديمية الإنسانيات والعلوم بنيويورك، والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، وغيرها، ونال جاك دريدا جائزة نيتشه، ومنح العديد من ألقاب الدكتوراه الفخرية من جامعات عالمية، كجامعة كولومبيا، وكلية وليم، وغيرها.

عاد جاك دريدا للجزائر عام ١٩٧١م، حيث قام بالتدريس وإلقاء المحاضرات في جامعة الجزائر، كما زار العديد من الدول وألقى فيها محاضرات حول التفكيك، والعلوم الإنسانية، ومكانة التفكيك، كاليابان، وألمانيا، وأمريكا اللاتينية، ومدينة القدس المحتلة، والقاهرة، وغيرها من الدول، توفي جاك دريدا في شهر اكتوبر من عام ٢٠٠٤م، ودفن في باريس[١]، فهو فيلسوف غربي الهوية، جزائري المولد، فرنسي الجنسية والسكن، يهودي الديانة، ذو شخصية مشتته ومفككه حري أن يصدر عنها مثل هذه النظرية التفكيكية الهدامة.

وصول التفكيكية للعالم العربي والإسلامي.

كما يتضح مما سبق أن التفكيكية في أصلها ونشأتها مذهب فكري غربي المولد والنشأة، ولدت ونشأت في بلاد الغرب، وهي من نتاج أفكارهم وبيئتهم وعلى أيدي مفكريهم، كما تعتبر مرحلة من مراحل تطور الفكر الغربي، لكن انتقلت هذه المنهجية

(١) ينظر: عطية، أحمد عبد الحليم، **جاك دريدا والتفكيك**، ص ٧ وما بعدها.

التفكيكية إلى البلاد العربية والإسلامية عن طريق المعجبين بكل ما يصدر عن الغرب، وهم الذين يسمون بأصحاب القراءة المعاصرة من بعض المفكرين والنقاد وأصحاب الأدب، أو بعض من ينتسبون للعلم الشرعي، فهم مجرد مقلدين للمناهج الفلسفية الغربية وبالأخص التفكيكية مهما حاولوا ادعاء الاستقلال عن المنهجية التفكيكية الغربية، وأن أقوالهم جديدة في بابها، ويكفي لمن أراد الوقوف على هذه الحقيقة أن يتصفح أي منشور من منشورات هؤلاء ليرى كيف أنهم يقدسون رواد المدرسة التفكيكية والفلاسفة الغربيين ويعتبرونهم القدوة، كما أن أفكارهم التفكيكية تطابق أفكار الفلسفة الغربية غير أنها بأحرف عربية، وإن بعض أصحاب القراءة المعاصرة الحداثية أو الحديثة للقرآن الكريم قد لا يصرح بانتمائه للمدرسة التفكيكية، ولكن يتضح ذلك من خلال عباراته وتلاعبه بآيات القرآن الكريم وتفسيره، بل أسوأ من ذلك، فقد تجد بعضهم يطبق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم كما يطبق البنيوية وغيرها من النظريات الأدبية الغربية في آنٍ واحد، وذلك لمسايرة الغرب في أفكارهم وانحلالهم، ولتحقيق ونشر ما في نفوسهم من مفاهيم وتأويلات باطلة تسيء للقرآن الكريم ورسالته السامية، وصدق الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما قال: «ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله»[1].

كانت بداية دخول المنهج التفكيكي في العالم العربي والإسلامي في سبعينيات القرن العشرين، وكانت الحركة التفكيكية في العالم العربي والإسلامي تسير على خطى ومنهج الحركة التفكيكية الغربية رغم اختلاف العقليتين والظروف التي أدت لنشأة التفكيكية في العالم الغربي، وقد كانت هناك عوامل وأسباب أدت لانتقال الحركة التفكيكية للعالم العربي والإسلامي وأهمها:

- أولاً: انتشار الحركة التفكيكية ورواجها في العالم الغربي، أدى ذلك لانجذاب الدراسات العربية إليها لفهمها ونقلها للعربية، ومن هنا كانت بداية انتقال

(١) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ج٢، ص١٩٢

بلاء وضرر التفكيكية للعالم العربي والإسلامي، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاليس"[1]. وقد تجلى ذلك في ترجمة ما كتب عن التفكيكية في العالم الغربي إلى العربية، ومن تلك الترجمات ترجمة جابر عصفور لمؤلف دريدا الشهير (البنية، الدليل، اللعبة، في حديث العلوم الإنسانية) عام ١٩٧٨م، وكذلك ترجمة ونشر كاظم جهاد لمجموعة من الدراسات المتفرقة لدريدا عام ١٩٨٦م، وترجمة جورج أبي صالح عام ١٩٩٠م (أفكار حول جهنم) في مجلة العرب والفكر العالمي، وترجمة الناقد كمال ابوديب لكتاب إدوارد سعيد (الاستشراق) وغيرها كثير، مما يشير إلى مدى انتشار التفكيكية في العالم العربي، وهذا أدى إلى ظهور السبب الثاني.

- ثانياً: بسبب انتشار الترجمة للتفكيكية، وانبهار بعض النقاد والمفكرين بالغرب، وتلقي كل ما يأتي عنهم بلهفة، بغض النظر عن صلاحيته للعالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى حب سياسة الإختلاف والتحرر من الثوابت خاصة فيما يتعلق بالنصوص الدينية، أدى كل ذلك إلى تلقف الدراسات والترجمات للتفكيكية ونشرها، والعمل على التنظير لها والسعي إلى تطبيقها على اللغة العربية والتراث الإسلامي، كما حصل تماماً عند ترجمة كتب فلاسفة اليونان في عهد المأمون حيث ترجم كتب الفلاسفة المنكرة، قال الصلاح الصفدي: "حُكي أن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى كتب يطلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لايظهر عليه أحد. فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها إليه، إلا بطريق واحد، فإنه قال: جهزها إليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها. وحدثني من أثق به أن الشيخ تقي الدين أحمد ابن تيمية – رحمه الله تعالى – كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون ولابد أن يقابله على ما

(١) السيوطي، جلال الدين، **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**، ص١٥.

اعتمده مع هذه الأمة من إدخاله هذه العلوم الفلسفية بين أهلها"[1]، ونتج عن التأثر بتلك الترجمة أقوال غريبة وأراء شاذة وفاسدة منافية للدين وللعقل السليم، كالقول بخلق القرآن الكريم مثلاً[2]. وقد كانت أولى محاولات التنظير الموسع للمنهجية التفكيكية وبثها في الساحة العربية عام ١٩٨٥م على يد الباحث السعودي عبد الله محمد الغذامي في كتابه (الخطيئة والتكفير) كما يُجمع على ذلك معظم الباحثين، ويؤكد ذلك قوله هو بنفسه أنه لا أحد من العرب عرض لمصطلح التفكيكية قبله، ثم أصدر كتابه الثاني عام ١٩٨٧م بعنوان (تشريح النص)، يتحدث فيه عن تفكيكية جاك دريدا وإجراءاته النقدية في تشريحه لنصوص قام بقراءتها على

---

(١) السيوطي، جلال الدين، **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام**، ص٩.

(٢) فتنة خلق القرآن الكريم وقعت في هذه الأمة المرحومة في سنة اثنتي عشر ومئتين، في السنة الرابعة من خلافة المأمون، واستمر في الدعوة إليها والامتحان بها إلى أن مات سنة ثماني عشرة ومئتين، وقد اشتد في زمنه الخطب على المسلمين، ثم جاء بعده أخوه المعتصم، واستمر على ذلك المنكر ثمانية أشهر وثماني سنين، حتى مات سنة سبع وعشرين ومئتين، فجاء بعده ولده الواثق ودامت دولته خمس سنين وأشهراً، واستمر على تلك الفتنة المشؤومة في امتحان خيار الأمة، فباشر بيده الأثمة قتل الشهيد شيخ الإسلام الإمام الكبير أحمد بن نصر الخزاعي المروزي الآمار بالمعروف القوال بالحق بعد أن امتحنه بخلق القرآن الكريم، ورؤية المؤمنين لربهم في جنات النعيم، قائلاً قوله الأثيم: أحتسب خطاي إلى هذا الكافر، فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد فرحمه الله ورضي عنه وأعلى مقامه في جنات النعيم (خبر استشاده مع ترجمته وما حصل له من كرامة بعد استشهاده في: **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي، ج٥، ص١٧٣-١٨٠، **طبقات الحنابلة** للقاضي ابن أبي يعلى، ج١، ص٨٠-٨٢، **البداية والنهاية** لإبن كثير، ج١، ص٣٠٣-٣٠٧). ثم رجع الواثق في آخر حياته عما ابتدعه عمه المأمون، وقلده بعده والده المعتصم فاستمرت محنة أئمة السنة المهتدين بتلك البدعة المحدثة في الدين عشرين سنة من سنة ٢١٢هـ إلى ٢٣٢هـ، وكان زوال تلك الفتنة بتوفيق الله للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأذرمي شيخ الإمامين أبي داود والنسائي، في مناظرته لشيوخ المعتزلة القائلين بتلك البدعة الحاملين الخلفاء الثلاثة على المحنة بها، وكانت المناظرة في مجلس الواثق فرجع عن غيه المبين، ورفع المحنة عن أئمة أهل السنة المهتدين، ثم جاء بعده ولده الخليفة المتوكل فأجهز على تلك البدعة، وقمع القائلين بها، ونشر السنة ورفع الناشرين لها، واستمرت خلافته خمس عشرة سنة، (تفصيل الكلام على فتنة خلق القرآن الكريم وامتحان الخلفاء الثلاثة بها لأئمة الإسلام، وما حصل بعدها من فرج في عهد الخليفة المتوكل، ينظر في أخبارهم في كتاب الإمام الذهبي، **دول الإسلام**، ج١، ص١٢٥-١٤٩). وحقيق بأهل العقول النيرة أن يعتبروا بتلك المناظرة التي أزال الله الكريم بها تلك البدعة المنكرة (تفصيل المناظرة ينظر: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد** ، ج١، ص١٥١-١٥٢، وابن الجوزي، **مناقب الإمام أحمد**، ص٣٥٠-٣٥٦، وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٠، ص٢٢٠).

منهجية حددها هو بنفسه. ومن تلك الدراسات ايضاً ما أصدره الناقد عبد الكبير الخطيبي من دراسات ترجمت عام ١٩٨٠م، ومن دراساته التي نشرت (النقد المزدوج)، و(في الكتابة والتجربة)، و(الاسم العربي الجريح)، ودراسته (المغرب أفقاً للفكر)[١] الذي يتحدث فيه عن مسألة الاختلاف في ثقافتنا، وأنه يلزمنا تجاوز الصورة الضيقة التي نملكها عن أنفسنا وعن الآخرين، وأنه يجب علينا أن نخلخل بنقد يقظ وواضح نظام المعرفة السائد من حيث أتى. وكذلك الباحث اللبناني علي حرب الذي أصدر مجموعة من الدراسات في مجلدين تحت عنوان (النص والحقيقة)، ثم أصدر مجلداً ثالثاً بعنوان (الممنوع والممتنع)، وكتابات محمد أركون ككتاب (الفكر الإسلامي قراءة علمية) وغيرها من الكتب. وبسبب تلك الدراسات التفكيكية ومحاولة الباحثين الذين بثوا التفكيكية في الساحة العربية وعملوا على التنظير لها والسعي في تطبيقها على اللغة العربية والتراث الإسلامي أدى ذلك لظهور السبب الثالث من الأسباب التي أدت لانتقال التفكيكية وانتشارها في العالم العربي.

- ثالثاً: بعد ظهور الحركة التفكيكية في العالم العربي ومحاولة بعض النقاد والمفكرين – ممن يسمون أصحاب القراءة المعاصرة – تطبيق ماترجم ومانقلوه من الفكر الغربي على اللغة العربية والتراث الإسلامي، كان لابد من ظهور دراسات وأصوات ترد عليهم، وتتحدث عن المنهجية التفكيكية، وتنقض مقولاتها ومقوماتها وتبين مساوئها وخطرها، والأخطاء التي وقعت فيها، ومن تلك الكتب والدراسات كتب الدكتور عبد العزيز حمودة الذي ألف كتاب (المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيكية) عام ١٩٩٨م، ثم ألف (المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية) عام ٢٠٠١م، ثم ألف عام ٢٠٠٣م (الخروج من التيه دراسة نقدية في سلطة النص) حيث تكلم في تلك الكتب عن المدارس الفلسفية الغربية وانتقدها وبين مدى

(١) الخطيبي، عبد الكبير، ترجمة: أدونيس، **المغرب أفقاً للفكر**، مجلة الأزمنة الحديثة، ٢٠١٥، العدد ٩، ص ١٥-٢١.

انحطاطها وخاصة التفكيكية، يقول الدكتور عبد العزيز حمود في كتابه (الخروج من التيه): "لكن التّيه النقدي المعاصر هو فراغ لا نهائي ليس له بداية أو نهاية مرئية. فراغٌ أُلقي النص فيه وتُرك دون أمل في الاهتداء إلى علامة طريق واحدة تقود إلى طريق الخروج. والنص في قلب ذلك الفراغ يتحول إلى الأمام ليكتشف أنّه تحرك إلى الوراء، يتجه يساراً ليجد نفسه يميناً، يدور حول نفسه في حلقة مفرغة. والنص داخل ذلك التّيه وجودٌ هو العدم، هو معنى اللاَّمعنى، يتحرك في مكانه دون أن يتقدم حقيقة في أي اتجاه. إنه في حالة تعليق. إرجاء. دائم، مفرداته قيد الشطب، تؤكد وتنفي، يؤكد الغياب في الحضور، والحضور في الغياب. يعيش حالة من عدم الاكتمال، لهذا يحتاج إلى ما يكمله، والمكمّل الجديد يحتاج إلى مكمّل جديد، وهكذا. وهذا ما فعله جاك دريدا وأكثر، والمفردات السابقة في الواقع كلّها مفردات ذلك السّاحر العدمي الأكبر"[1]، وكذلك الباحث عبد الوهاب المسيري مؤلف موسوعة (اليهود واليهودية والصهيونية) التي تحدث فيها عن المنهجية التفكيكية وارتباطها باليهودية، وله الكثير من المؤلفات فيما يتعلق بالحداثة وما بعدها.

(١) حمودة، عبد العزيز، **الخروج من التيه**، ص٤١.

المبحث الثاني

منطلقات التفكيكية وآثارها على الخطاب القرآني

لم يعد النص كما تعارف عليه الخلق كلهم منذ أن وجدت النصوص، وكتبها البشر تحمل دلالات ومضامين محددة، سواء كانت معنى واحداً أو معاني متعددة تشمل عدة مجالات، فأصبحت النصوص بعد ظهور المدرسة التفكيكية ذات معاني عائمة، وتحمل عدداً لا متناهي من المعاني والمضامين ولا تدل على شيء معين ولم تعد هناك حقيقة ثابتة ألبته حسب زعمهم.

فما هي منطلقات وأسس هذه المدرسة التفكيكية؟ وماهي المخاطر والآثار المترتبة على القول بآراء هذه المدرسة والدعوة إلى تطبيقها على القرآن الكريم؟ هذا ما سيتبين في هذا المبحث من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: منطلقات التفكيكية.

المطلب الثاني: آثار توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل القرآن الكريم.

المطلب الأول

منطلقات وأسس التفكيكية

انطلقت المدرسة التفكيكية من ثلاثة منطلقات لتؤسس من خلالها قواعدها التي سارت عليها في كل مكان وصلت، إليه سواءً في أوروبا، أو العالم العربي، وهذه المنطلقات يمكن القول بأنها هي التي دعت، أو بررت لأصحاب المدرسة التفكيكية الإتيان بما جاءوا به، بغض النظر عن مدى صحتها أو فسادها.

أول هذه المنطلقات التي انطلق منها مؤسسو المنهجية التفكيكية وعلى رأسهم جاك دريدا لتأسيس المدرسة التفكيكية هي:

١. الثورة على سلطة العقل.

كانت الفلسفة الغربية ولمدة طويلة فلسفة عقلية، قائمة على تمجيد العقل واعتباره مقياساً لتقييم المعرفة والحقيقة، وكانت تحكم بالعقل على الشيء لمعرفة صوابه، وارتبطت الحقيقة والمعرفة بالعقل عند الفلاسفة الغربيين القدامى بداية من سقراط[١] وأفلاطون[٢]، هذا الأمر جعل الفلسفة الغربية ترفض وتنفي كل ما يخالف ولا يتوافق مع ما تتصوره، أو خرج عن سلطة العقل، بل أكثر من ذلك جعلت الفلسفات الغربية العقل مفهوماً يحكم العالم كله، أي إن جميع الأمور والظواهر والموجودات تخضع لنظام العقل وسلطته وتصاغ حسب آلياته ومعطياته الخاصة، وهذا سبب تقوقع الفلسفة والفكر الغربي وجمودهما، حتى أصبح فكراً رجعياً ساكناً وجامداً كما يرى أصحاب المدرسة التفكيكية.

---

(١) سقراط هو فيلسوف وحكيم يوناني، عاش بين الفترة ٤٦ ق.م – ٣٩٩ ق.م، يعتبر أحد أهم مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات وكل ما نعرفه عنه نقل عنه من خلال روايات تلامذته عنه، له تأثير على معظم المناهج الفلسفية والعقلية، والطرق الصوفية، ينظر: طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون**، ص٣٦٥-٣٦٧.

(٢) سبقت ترجمته ص٦٩.

وهذا ما رفضته المدرسة التفكيكية، وجعلت جاك دريدا مؤسس المدرسة التفكيكية يعمل على نقد الفلسفة الغربية وتفكيكها من أساسها.

إن أهم ما تميزت به ودعت إليه مرحلة ما بعد الحداثة عموماً والتفكيكية خصوصاً، هو التشكيك في اليقينيات وجميع العلوم التي لها صلة بالعقل، وكذلك الطعن في الفلسفات الغربية المبنية على العقل، والدعوة إلى الثورة على ما كانت تقوم عليه الفلسفات الغربية من تقديس للعقل والمنطق وجعله حكماً على كل شيء، وبسبب هذا التمركز على العقل وجعله في أعلى مراتب الاهتمام وإعطاءه سلطة تحديد المعاني والتحكم في مسار الفكر بلا قيود تضبط العقل وتصونه، وفي ظل هذه النزعة العقلية ثارت الفلسفة التفكيكية على كل المدارس العقلية التي تشيد بالعقل والمنطق على حد سواء، وجعلت المدرسة التفكيكية وروادها جل اهتمامهم هو تفكيك هذا التمركز حول العقل، ومحاولة التفلت من سلطته، داعين إلى تقويض العقل والمنطق وانفتاح النص وتوسيع مجاله إلى مالا نهاية، مشككين في المعارف اليقينة الثابتة من أجل تفكيك هذا التمركز الذي تحكم في الفكر الغربي لمدة طويلة.

٢. الثورة على سلطة الحضور.

يرى جاك دريدا ورواد المدرسة التفكيكية أن الفلسفة الغربية منذ سقراط وأفلاطون إلى هيغل هي فلسفة حضور، يختزل فيها الحضور داخل الوعي باعتباره المركز في هذه الفلسفة، وحسب فلسفة الحضور فإنه يقتصر مفهوم الأشياء والموجودات فيها بعينها بوصفها أشياء حاضرة، فمعظم الفلسفات الغربية قامت على أساس البحث عن الأصل، سواء كان مادياً أو دينياً، لتصل إلى حقيقةٍ تتمركز حولها وتنطلق منها، لتأسس منظومات فلسفية ومعرفية وأخلاقية تتسم بشيء من الثبات، وهذا ما رفضه جاك دريدا ورواد المدرسة التفكيكية، ورفضوا فكرة الحضور المطلق للمعاني، وانطلقوا من الإيمان بعدم وجود أصل من أي نوع يقول ابراهيم خليل: "إن دريدا ينكر مفهوم الحضور المطلق، موضحاً ذلك بمثال السهم المنطلق فهو في أي لحظة من اللحظات حاضر في

موقع معين، ولكنه في الوقت نفسه ليس حاضراً في تلك اللحظة في ذلك المكان بالذات، ففي أي لحظة اخترناها من لحظات إطلاقه يكون متحركاً باتجاه موقع ثان، وهكذا ... لابد من أن نأخذ بعين الإعتبار أن كل حضور إنما يعتمد في تحديده على اختلافات وعلاقات لا يمكن أن تكون حاضرة، وعلى هذا فإن الشيء يمكن أن يكون حاضراً، وغير حاضر في الوقت ذاته، لذا لا يوجد في أي نص أو خطاب معنى يتمتع بحضور مطلق، وعليه فإن أي معنى تسفر عنه أي قراءة لابد أن يكون سلسلة من الاختلافات والتوافقات الحاضرة والمرجأة..."[1]، فالفلسفات الغربية التي قامت على ميتافيزيقيا الحضور قصرت معنى الأشياء والكتابات وحقائقها على وجودها وحضورها كشيء جلي وواضح أمام الدارس والمتلقي، وزعمت الفلسفة الغربية العقلية التي كانت سائدة في أوروبا بأن الوجود حاضر دائماً، وهذا يعني بأن معناه ومفهومه ودلالاته هي أيضاً دائماً حاضرة معه وهي معروفة ومحددة وفق أسس عقلية يؤمنون بها وينطلقون منها، وهذا مارفضه وثار عليه التفكيكيون وقالوا بفكرة غياب المعنى، ونفي حضوره وضياع دلالته، وجعلوا معنى النص أو حقيقة الخطاب اللغوي شيئاً مؤجلاً دائماً وغائباً ومختلفاً بحسب شخصية وثقافة كل دارس ومتلقي، فأسسوا بذلك نسبية تقوم على استحضار ما هو غائب للتشكيك في ما هو حاضر، فلا وجود لمركز ثابت طالما أن الغياب هو في ذات الوقت حضورٌ مؤجلٌ يهدد المعنى الحاضر ويشكك فيه، وينتزع منه خاصية ثباته ومرجعيته، وبهدم التفكيكيين لفكرة الحضور فإنهم هدموا اللغة وثباتها والزمن والحقيقة.

٣. الثورة على البنيوية.

من الأمور التي انطلقت منها المدرسة التفكيكية أيضاً هي الثورة على البنيوية، فقد قام التفكيكيون بتحطيم القواعد والآليات الفلسفية التي كانت يعتقدها البنيويون ونقضوا أسس البنيوية التي قامت عليها وشككوا فيها خاصة في ما يتعلق بالنص، فقد

(١) خليل، ابراهيم، **في النقد والنقد الألسني، دراسات نقدية**، ص١٠٠.

كانت البنيوية تعلي من شأن النص وسلطته، فالمعنى عند البنيوية مرتبط بالنص نفسه، ولا ارتباط له بمؤلفه أو قارئه، وتنظر البنيوية إلى النص على أنه مستقلٌ ومغلقٌ وذو سلطةٍ وذو معنىً ومركزٍ ثابتين، وهو ذو نظامٍ منسجم ومتناسق، فجاءت التفكيكية بنقض هذا الأساس عند البنيوية فقصرت فهم النص على القارئ فقط، ونفت أي ارتباط للنص بمؤلفه أو باللغة أو أي شي خارج عنه، وأعطت السلطة في استخراج المعنى وتحديده للقارىء، مهما اختلف عدد القراء وتعددت تفسيراتهم، فالقارىء عند رواد المدرسة التفكيكية هو الخالق الحقيقي للنص وهو الذي يُحدث المعنى ويَحدث المعنى عنده، وليس هناك سلطة أخرى يمكن يخضع لها القارىء لا المؤلف ولا اللغة نفسها ولا الظروف المحيطة بالنص.

كما أن البنيوية تعتبر النص حاملاً لمعان مستقرة لأنها تفترض سلفاً نوعاً من التزامن اللاهوتي مما جعل أصحاب المدرسة التفكيكة يرون أن اللغة قد أصبحت جامدة وعبارة عن كتل صماء تدعم الأفكار التقليدية، لذلك لا بد من الثورة على البنيوية وكل معتقداتها كما يرى أصحاب المدرسة التفكيكية.

وكذلك مما ثار عليه رواد المدرسة التفكيكية ضد البنيوية هو أنها متلبسة بميتافيزيقيا الحضور، الأمر الأساسي الذي ثارت عليه المدرسة التفكيكية وعلى رأسها جاك دريدا وانتقدوه على الفلسفات الغربية السابقة عموماً والبنيوية خصوصاً، يقول جاك ديريدا: "كانت البنيوية يومذاك مهيمنة. وكان التفكيك ذاهبا في هذا الاتجاه مادامت المفردة تعرب عن انتباه معين إلى البنيات، التي ليست ببساطة لا أفكاراً ولا أشكالاً، ولاتركيبات ولا حتى أنساقاً. كان التفكيك هو الآخر حركة بنيوية، أو بأية حال، حركة تضطلع بضرورة معينة للإشكاليات البنيوية. ولكنه أيضا حركة ضد بنيوية، وهو يدين بجانب من نجاحه لهذا اللبس. كان الأمر يتعلق بحل، بفك، بنزع رواسب البنيات، جميع ضروب البنيات اللغوية وتمركزية لوغوسية وتمركزية صواتية، بما أن البنيوية كانت يومها خاضعة بخاصة إلى نماذج لغوية، نماذج علم اللغة أو الألسنية المدعوة

بالبنيوية، ونماذج اجتماعية مؤسساتية وثقافية، وبخاصة وأولى فلسفية"[١]. ويقول عبد العزيز حمودة: "إن التفكيكية باعتبارها صيغة لنظرية النص تخرِّب كل شيءٍ في التقاليد تقريباً، وتشكك في الافكار الموروثة عن العلامة، واللغة، والنص، والسياق، والمؤلف، والقارئ، ودور التاريخ، وعملية التفسير، وأشكال الكتابة النقدية"[٢].

أسس التفكيكية.

١. سلطة القارىء.

النص بحسب المنهجية التفكيكية مفتوحاٌ وغير منسجم، ولا مؤلف له ولا معنىً ثابتاٌ له، بل له دلالات لانهائية، وليس له مركزٌ ثابت ولا سلطة، بل السلطة للقارئ وحده، لأن القارئ هو من يحدد دلالات النص، ولذلك لا يهم لتحليل النص، معرفة من هو المؤلف، هذا إذا كان هناك مؤلف أصلاً، فالمؤلف عند التفكيكيين هو في الحقيقة جامع لأفكار محيطه وبيئته، وانطلاقاً من وصف المعنى بالاستفاضة، وعدم خضوعه لحالةٍ مستقرة، فإن هذا الأمر يدفع القارىء إلى العيش داخل النص والقيام بمحاولات مستمرة لتصيد المعاني الغائبة، ويصبح النص ملكاً للقارىء يتصرف به ويفهمه كما يشاء، ولكل قارىء أن يستخرج من المعاني والقراءات ما يحلو له مهما تعددت القراءات واختلفت، وهذا من الأسس الأساسية في المدرسة التفكيكية.

وقد دعا رواد المدرسة التفكيكية إلى ضرورة قراءة النص مفصولاً عن كاتبه، وأن سيادة كاتبه ومؤلفه عليه تنتهي بمجرد الإنتهاء من كتابته، يقول بارت مبرراً لإقصاء المؤلف: "إن نسبة النص إلى المؤلف معناه ايقاف النص وحصره، وإعطاؤه مدلولاً نهائياً، إنها إغلاق الكتابة"[٣].

---

(١) ديريدا، جاك، **الكتابة والاختلاف**، ترجمة: كاظم جهاد، ص٥٩-٦٠.

(٢) حمودة، عبد العزيز، **المرايا المحدبة**، ص٢٩١.

(٣) باث، رولان، **درس في السيمولوجيا**، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي، ص٨٦.

٢. نزع القداسة ورفض كل ما هو غيبي.

من أسس المدرسة التفكيكية نزع القداسة عن أي نص حتى لو كان دينياً ومنزلاً من رب العالمين والتشكيك فيه، واللعب فيه بتقويضه، وإخضاعه لسلطة القارىء، ومعاملته كأي نص أدبي، يقول جاك دريدا: "أنا لا أتعامل والنص، أي نص، كمجموع متجانس، ليس هناك من نص متجانس، هناك في كل نص، حتى في النصوص الميتافيزيقية الأكثر تقليدية، قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص، هناك دائما إمكانية لأن تجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه، وجعله يتفكك بنفسه"(١)، ويقول هاشم صالح: "إن كل التراث الموروث عن القرون الوسطى سوف نجد أنفسنا مضطرين لتفكيكه حجرةً حجرة، وقطعةً قطعة، ثم الإطاحة به، عشرات أو مئات الأفكار الراسخة واليقينيات المعصومة سوف تنهار كصرحٍ من كرتون...حقاً لقد حان زمن التفكيك والتكنيس والتعزيل الكبير"(٢).

ومن أسس المدرسة التفكيكية كذلك رفض كل ما هو غيبي لاهوتي يقول د.غسان السيد: "لقد جاءت اللحظة الحداثوية الأوربية التي نقلت الإنسان من واقع إلى واقع آخر مختلف تخلخلت فيه كل الثوابت السائدة التي جمدت العقل البشري(٣) لقرون طويلة، فتشكل وعي جديد معارض بصور كلية للوعي اللاهوتي الذي أراد توحيد العالم حول مركز عقائدي موحد يتجسد فيه المعنى الوحيد للحقيقة التي لا تقبل النّقاش، ومنذ تلك اللحظة تميز الفكر الغربي بالقدرة على مراجعة ما أنجزه واشتغل عليه، حتى وإن كان يقع ضمن ثوابته، وولد هذا الأمر خطاباً مختلفاً عما هو سائد، خطاباً يريد أن يقطع كل الجسور مع الماضي، ومع أي نقطة إحالة مرجعية ثابتة. ويتمثل هذا الخطاب، بصورةٍ خاصةٍ، في خطاب جاك دريدا، الذي جاء في الأساس ليفضح الخطاب الغربي

---

(١) ديريدا، جاك، **الكتابة والاختلاف**، ص٤٩.

(٢) صالح، هاشم، **الإسلام والإنغلاق اللاهوتي**، ص٢٤.

(٣) تعقيباً على ذلك أقول: جمدت العقل البشري لما طرأ عليها من تحريف ردي، فالخارجون عنها متنقلون من هوى إلى هوى، فسحقاً وبعداً للزائغين عن الهدي المبين.

الذي لم يستطع في مراحله كلها التخلص من مركزية حادة تتحكم في الوعي الجمالي والقيمي للإنسان"[1].

٣. فصل الدال عن المدلول.

نفت المدرسة التفكيكية أي علاقة بين الدال والمدلول. ويمثل الدال في اللغة الحضور بينما يمثل المدلول حالة الغياب، ويكون دور القارىء هو استدعاء هذا المدلول الغائب المتصور في الذهن، وبنفي المدرسة التفكيكية لهذه العلاقة فإن المعنى يصبح في حالة غياب دائمة ولا تسطيع أي قراءة الادعاء أنها تملك معاني ثابته، وهذا يؤدي إلى تعددية المعنى ولا نهائيته، وهذا هو ما قامت علية التفكيكية، فعند المدرسة التفكيكية لايوجد مركزٌ ثابتٌ خارجيٌ يمكن أن يحال إليه النص لتحقيق المعنى، ولا يوجد معنى موجود وحاضر، والمعنى مؤجل إلى مالا نهاية وغائب لأن الدال وهو يبحث عن المدلول يتحول بدوره الى دال يبحث عن مدلول، وتبقى لعبة الدوال دون الوصول إلى معنى، وعندها يصبح البديل هو اللعب الحر بالمدلولات داخل النسق اللغوي المطلق الذي يترتب على اختفاء أو مراوغة المدلولات للدوال، والذي يجعل الدوال تشير إلى مدلولات عائمة متحركة دون ثبات.

٤. الكتابة.

كان الفكر الغربي يفضل الصوت على الكتابة ويعطيه أهمية أكثر من الكتابة، لأن الصوت يفترض حضور المتكلم فيتجه الصوت وهو الذي يمثل الدال إلى المعنى الذي يمثل المدلول، وهذا ما رفضته المدرسة التفكيكية وجعلت من أسسها تقديم الكتابة على الصوت، وذلك لأن الكتابة تفترض غياب المتكلم فيغيب الدال عن مدلوله، وجعلت المدرسة التفكيكية من أسسها تقديم الكتابة على الصوت، وأولت الكتابة أهمية ومكانة كبيرة، فهي تتجاوز الدلالة الخطية البسيطة إلى مفهوم أشمل وأوسع يجعل النص ذو أفق مفتوح ومتجدد ومتغير باستمرار، فالكتابة عند المدرسة التفكيكية أهم من

(١) السيد، غسان، **التفكيكية والنقد العربي الحديث**، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٤٢٦ تشرين الأول ٢٠٠٦م.

الصوت، وهي البديل عن الكلام لأن الكلام يحتكر سلطة الخطاب ويعطي هذه السلطة للمتكلم، أما الكتابة فهي تمنح النص تفسيرات متعددة وتغيب المتكلم، وتعطي السلطة والمكانة للقارئ على النص في توسيع أفق النص، وفي كتابته من جديد بطريقة مغايرة يقول بسام قطوس: "فالنص ليس له وجود إلا عندما يتحقق، وهو لا يتحقق إلا من خلال القارئ، ومن ثم تكون عملية القراءة هي التشكيل الجديد لواقع معطى مشكل من قبل هو العمل الأدبي نفسه"(١)، ويصف بارت الكتابة بأنها "هدم لكل صوت، ولكل أصل، فالكتابة هي هذا الحياد، وهذا المركب، وهذا الانحراف الذي تهرب فيه ذواتها الكتابة هي السواد والبياض الذي تتيه فيه كل هوية، بدءاً بهوية الجسد الذي يكتب"(٢).

٥. الاختلاف.

من الأسس في المنهجية التفكيكية الاختلاف أي: إن المعنى لا يكون مباشراً وحاضراً أبداً، ولا يمكن فهم المعنى لأي كلمة إلا من خلال اختلافها عن غيرها، يقول الباحث صلاح فضل عن الاختلاف: "هو تغييب مرجعية القيم وتبديل مفاهيمها بحيث تصبح علاقات الإسناد في اللغة ملغاة ولا معنى للربط بين الكلمة والمعنى الذي ترمز أو تشير إليه، فالحضور الذي يرمي إليه الفلاسفة الغربيون يحمل في جوفه معنى آخر غائباً عن النص ليأتي به القارىء ضمن إمكانات التفسير لتبقى المدلولات الأخرى تنتظر الإشارة وهنا يتحقق معنى التأجيل والإرجاء"(٣)، فالمعنى غائب ولا يمكن معرفته إلا من خلال الاختلاف والمعنى غائب عن النص، وعلى القارىء البحث عنه في سلسلة الغياب والتأجيل للمعاني وتشظيها، يقول تيري ايجلتن: "إن المعنى غير موجود في الإشارة اللغوية ما دام معنى الإشارة اختلافها عن الإشارة الأخرى، فإن معناها أيضاً وبتعبير آخر غائب عنها، المعنى إذا شئت مبعثر ومنتشر عبر كل سلسلة الإشارات،

(١) قطوس، بسام، **استراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي**، ص٢٨.

(٢) الغذامي، عبد الله، **تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة**، ص١٥.

(٣) فضل، صلاح، **الأساليب الشعرية المعاصرة**، ص٢٦٠.

وليس من السهولة تثبيته فهو ليس موجوداً بصورة كاملة في أية إشارة لوحدها بل إنه يمثل حالة من الوجود والغياب المستمرين"[1]، فمن خلال الاختلاف وغياب المعنى تنتج قراءات للنص متعددة بحسب كل قارىء ولا نهاية لها ويفقد النص ثباته وتتناثر معانيه، وهذا هدف التفكيكية في أن يستمر القارىء في هدم النص وإنتاج معانيه مع كل قراءة جديدة له "لقد أصبح المعنى حسب التفكيكين في رحلة غياب مستمرة، لا يعرف محطة يتوقف عندها، ولن تتمكن أي قراءة من الوصول إليه خصوصاً في ظل مقولات التفكيك التي تجاوزت فكرة حضوره من خلال نظام الاختلاف، الذي غيب أية مرجعية يرتكز عليها القارىء للوصول إلى المعنى. والتفكيكيون بهذا الدأب عملوا على تحطيم المعنى الذي ينتج عن القراءة الأولى للنص الأدبي، وطالبوا القارىء بقراءات لا نهائية، فقد انهارت سلطة المؤلف وفتح الباب للقراءة فقط لتكون هي الأخرى إنتاجاً قابلاً بدوره للقراءة والمطاردة"[2]، فلا وجود لمعنى ثابت لأي نص، فكل معنى يحيل إلى آخر، ويختلف معه، ويستمر القارىء في البحث عن المعاني المختلفة فيما بينها والغائبة إلى ما لا نهاية.

٦. التناص.

من أسس المدرسة التفكيكية القول بالتناص، اي إن كل نص هو نتيجة لتجميع كتابات ونصوص متعددة تنحدر من ثقافات عديدة مع بعضها، قام بها المؤلف الذي هو في أصله قارئ، مما يختزنه في ذاكرته من النصوص، والأفكار التاريخية المختلفة، والمتعددة الثقافات، وكل ذلك يساعد في انفتاح دلالة النص واحتماله معاني متعددة، وبالتالي يكون دور المؤلف مجرد ناسخ، وجميع النصوص الأدبية تأخذ من بعضها، يقول رولان بارت عن النص: "إنه نسيج من الاقتباسات تنحدر من منابع ثقافية متعددة، إن

(١) العاني، شجاع، **المغايرة والإختلاف، دراسة في التفكيك**، مجلة علامات في النقد، مجلد م١٠، ج٤٠، ص١٤٨.

(٢) تاوريت، بشير، وراجح، سامية، **فلسفة النقد التفكيكي**، ص٦٤.

الكاتب لا يمكنه إلا أن يقلد فعلاً ما هو دوماً متقدماً عليه"[1]، وقد نادت المدرسة التفكيكية بالتناص، ودعت القارئ إلى الغوص في المعاني داخل النص الواحد يقول محمد مفتاح: "النص ليس سطراً من الكلمات، ينتج عنها معنى احادياً ولكنه فضاء لأبعاد متعددة، تتزاوج فيها كتابات مختلفة وتتنازع دون أن يكون أيٌّ منها أصلاً، فالنص نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤر الثقافة، إن الكاتب لا يستطيع إلا أن يحاكي حركة سابقة له على الدوام، دون أن تكون هذه الحركة أصلية"[2]، فمن خلال القول بالتناص تؤكد المدرسة التفكيكية على سلطة القارئ في تحديد معاني النصوص ودلالاتها، وأن النصوص ليس لها معنى في حد ذاتها، ويجب على القارئ فك الارتباط بين هذه النصوص من حيث المعنى والمبنى وهذا ما يؤكده رولان بارت بقوله: "النص مصنوع من كتابات مضاعفة وهو نتيجة لثقافات متعددة تدخل كلها في حوار محاكاة ساخرة وتعارض، ولكن ثمة مكان تجتمع فيه هاته التعددية، وهذا المكان ليس الكاتب كما قيل إلى الوقت الحاضر، إنه القارئ"[3] والقول بالتناص عند المدرسة التفكيكية هو ضد مفهوم النصية عند البنيوية، التي تعتقد أن تحليل النص نابعٌ من داخله، حيث تعتبر البنيوية النص الأدبي نسقاً مغلقاً يمكن تحليله وتفسيره وفق علاقات وحداته الداخليه، أما المدرسة التفكيكية فترفض ذلك وتقول بالتناص وأن النص ليس نسقاً مغلقاً وأنه يحمل آثاراً من نصوص وثقافات اخرى.

---

(١) بارت، رولان، **نقد وحقيقة**، ترجمة: منذر عياشي، ص٢٢.

(٢) مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص**، ص١٢٣.

(٣) بارت، رولان، **نقد وحقيقة**، ترجمة: منذر عياشي، ص٢٤.

المطلب الثاني

آثار توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل القرآن الكريم

إن جوهر منهج المدرسة التفكيكية كما يقول مؤسس هذا المنهج الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا هو ما سماه غياب المركز الثابت للنص أي غياب المعنى اليقيني، أو الحقيقي، الذي يمكن أن يقال عن نصٍ من النصوص إنه يحمله وهي فلسفة قائمة على التقويض، والفوضى، والهدم. وعليه فإن النصوص عند المدرسة التفكيكية لا تقول شيئًا محددًا قاطعًا أبدًا، ومن ثم يصبح من حق القارئ أن يستخرج منها ما يشاء باستمرار من خلال البحث عن هذا المخبأ المبهم الكامن في أعماق النص، ولكنه مهما اجتهد في هذا البحث، ومهما حاول فلن يستطيع الوصول إلى اليقين، ولذلك لايمكن إطلاقا تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم. لأن القرآن الكريم قائم على التناسق والانسجام ويحتوي على حقائق وبينات عقائدية وتشريعية ثابتة، لا يمكن الطعن فيها لقدسيتها الربانية، ولحقيقتها الواقعية، فكل ما ورد في القرآن الكريم يقيني ثابت ومحكم حكيم، لايمكن التشكيك فيه أو في ثبوته أو التلاعب بمعانيه بأي حال من الأحوال، بل ولا يمكن الأخذ بالمنهجية التفكيكية مطلقاً، فهي لاتخرج عن كونها هوساً وظناً، والظن لا يغني من الحق شيئاً عند أولي الألباب، أما الهوس فهو صرير، باب وطنين ذباب، أجارنا الله من الحماقة والارتياب.

وهنا يكمن الخطر في تطبيق هذه المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم، إذ كيف يمكن أن تطبق على القرآن الكريم المنهجية التفكيكية وهي تقوم على نقدٍ للمفاهيم الثابتة المسلم بها، والتشكيك بها مع تفكيكها وزعزعة كل اليقينيات المقطوع بها؟ إن ذلك يعتبر تلاعباً في أي نص أدبي، فكيف بالكلام الحق اليقيني؟ وكيف يمكن تطبيق النظرية التفكيكية على القرآن الكريم فيما هو قطعي الدلالة بإجماع العقلاء. والمنهجية التفكيكية تدعو إلى استفاضة المعاني بحسب ما يتخيله القراء؟! هل هذا إلا افتراء، لا يقول به إلا من بلغ الغاية في الجهل بلا امتراء.

وسيتضح في هذا المبحث خطورة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم، وما يترتب على ذلك من فساد عظيم، كما هو حال الزائغين من القراء المعاصرين، الذي تسوروا على تفسير القرآن الكريم من غير عدةٍ معتبرةٍ تؤهلهم لذلك الأمر العظيم، وسأذكر نماذج من مما قالوه من ترهات تؤكد على خطورة تطبيق فلسفة المنهجية التفكيكية على كلام ربنا الرحمن.

من آثار تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم ما يلي:

١. نزع القداسة عن القرآن الكريم ونفي دلالته الواضحة.

حاول المقلدون لأصحاب المنهجية التفكيكية الغربية – ممن يسمون بأصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم – نزع القداسة عن القرآن الكريم، ونفي ثبات معانيه، ودلالته القاطعة والصريحة يقول علي حرب: "برغم الدعوة إلى التوحيد باسم الله الواحد الأحد المفارق الغالب، فإن الحدث القرآني هو نص بامتياز، والنص ينطوي على التعدد، إنه تعددي، من حيث التعريف، وكونه تعددياً لا يعني فقط انطوائه على تعدد المعاني بقدر ما يعني أنه بنية أصلية للاختلاف، أي انه ينتج الاختلاف والمغايرة، بقدر ما ينتج التشابه والمماثلة، إنه نص مفتوح وحمّال لا يتوقف عن التأويل، ولذا كل واحد يستعيد النص بقراءته له، إنما يكتب في الوقت نفسه اختلافه ويقول حقيقته ويفهم منه ما يجيزه عقله ويسمح به فهمه ويمليه ظرفه وشرطه، من هنا كانت العودة إليه لدى الجدال في أي أمر من الدين والدنيا، لاستنباط الدليل والعثور على الدلالة، لا تفضي دوماً إلى الاتفاق والإئتلاف، إذ بإمكان أي واحد أن يعثر فيه على دلالته وأن يبني أدلته لكي يدعم موقفه ويبرر مقالته"[(١)]، وتجدهم ينفون قداسة القرآن بشتى الوسائل والأساليب والحجج الواهية يقول محمد أركون نافياً قداسة القرآن الكريم: "ويمكنني أن أقول بأن المقدس الذي نعيش عليه أو معه اليوم لا

(١) حرب، علي، **نقد الحقيقة**، ص٣٤-٣٥.

علاقة له بالمقدس الذي كان للعرب في الكعبة قبل الإسلام، ولا حتى بالمقدس الذي كان سائداً أيام النبي"[١] (صلى الله عليه وسلم)[٢].

وقد ولد نفي قداسة القرآن الكريم عندهم جرأة ووقاحة في التعامل مع كلام الله عزوجل باعتباره كأي نص أدبي تاريخي، يقول محمد أركون في تقديمه لترجمة (كازيمرسكي) الفرنسية لمعاني القرآن الكريم: "إن القرآن مدعاة للنفور بعرضه غير المنتظم، واستخدامه غير المعتاد للخطاب، وكثرة إيحاءاته الأسطورية"[٣]. ويقول هاشم صالح: "لقد آن الأوان للكشف عن تاريخية النص القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آن الأوان للكشف عن علاقته بظروفٍ محددةٍ تماماً في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي"[٤]، هذا جزء بسيط من مقولات كبار رواد المدرسة التفكيكية في العالم العربي، في نفي قداسة القرآن الكريم، ونفي دلالاته الواضحة، كل ذلك من أجل إلغاء دوره في حياة المسلمين، وتبريراً لتطبيق المناهج النقدية الحديثة عليه وعلى رأسها التفكيكية، وهذا ما فعله طه حسين حين كان يحث طلاب الأدب العربي على نقد القرآن الكريم وإبداء ملاحظاتهم عليه حسب المعايير البشرية فيقول: "ليس القرآن إلا كتاباً ككل الكتب الخاضعة للنقد، فيجب أن يجري عليه ما يجري عليها، والعلم يحتم عليكم أن تصرفوا النظر عن قداسته التي تتصورونها، وأن تعتبروه كتاباً عادياً، فتقولوا فيه كلمتكم، ويجب أن يختص كل واحد منكم بنقد شيء من هذا الكتاب، ويبين ما يأخذ عليه من الوجهات اللفظية والمعنوية والتفكِيرية"[٥] ويضيف بكل جرأة ووقاحة وهو يُملي على طلابه "إن في القرآن أسلوبين مختلفين كل الاختلاف، أحدهما جاف وهو مستمد من البيئة المكية، ففي هذا الأسلوب

---

(١) **مجلة مواقف**، ع٥٩/٦٠، ص٢٠.

(٢) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من كلام الباحث وليست من كلام محمد أركون فهو ومن على شاكلته لا يقدرون الله العظيم فكيف برسوله الكريم عليه الصلاة والسلام.

(٣) هرماس، عبد الرزاق، **مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، ع٣٨، ص١١٩.

(٤) صالح، هاشم، **الإسلام والإنغلاق اللاهوتي**، ص٢٤٨.

(٥) نقلاً عن: بخش، خادم حسين، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، مجلة الفتح، ج٦، ع٦٤٦، ص١٣٠.

تهديد ووعيد، وزجر وعنف، وقسوة وغضب، وسباب...، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى أخر السورة، وغير ذلك من الآيات التي تمتاز بكل مميزات الأوساط المنحطة، فلما هاجر النبي إلى المدينة تغير الأسلوب بحكم البيئة أيضاً، فقد كان في المدينة طوائف من اليهود، وبينهم التوراة، فأصبح ذلك الأسلوب ليناً وديعاً مسالماً، تلوح عليه أمارات الثقافة والإستنارة"[1]، ولا يخفى على ذي عقل ما يحتويه هذا الكلام من طعن بالقرآن الكريم، ومن رسائل هدامة تهدف للقضاء على قداسة القرآن الكريم. مع أن تلك الطعون ممن هو سفيه مطعون، فرية ليس فيها مرية، فما نزل من القرآن العظيم في العهد المدني الكريم فيه من التهديد والوعيد، والزجر والتعنيف الشديد، والقسوة والغضب والشدة، كما نزل في العهد المكي أو يزيد، فقد شبه اليهود الأشرار بالحمار الذي يحمل الأسفار[2]، وأخبر في أواخر ما نزل في تلك الفترة في سورة التوبة عن الكفار بأنهم نجس[3]، وعن المنافقين بأنهم رجس[4]، وأمر بقتل المشركين حيثما وجدوا[5]، مع الغلظة عليهم[6]، واستمر التصريح – على طول تلك المرحلة – بأن الله لعن الكافرين وغضب عليهم وهم شر الدواب، وأضل من البهائم. لكن من عميت بصيرته يلبس على الأغرار بما هو باطل في حقيقة الحال.

---

(١) نقلاً عن: بخش، خادم حسين، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة**، مجلة الفتح، ج٦، ع٦٤٦، ص١٢٨.

(٢) ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ...﴾ (سورة الجمعة: ٥).

(٣) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا...﴾ (سورة التوبة: ٢٨).

(٤) ﴿...فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (سورة التوبة: ٩٥).

(٥) ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...﴾ (سورة التوبة ٥).

(٦) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً...﴾ (سورة التوبة: التوبة: ١٢٢).

٢. تاريخية النص القرآني.

إنطلاقاً من مقولة التفكيكية (لاشيء خارج النص) أي إن من حق كل عصر أن يعيد تفسير الماضي، ويقدم تفسيره للحاضر والمستقبل، فإن أصحاب القراءة المعاصرة، الذين يسعون لتطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم ينظرون إليه بوصفه نصاً تاريخياً، أي أنه إفراز لمرحلةٍ معينةٍ انتهت وانقضت، وانه كان استجابة لمرحلة معينة وتأثر بها ونبع من الأرض ولم ينزل من السماء فهو بشري المصدر، وعليه يجب علينا تفسيره وفهمه وإنتاج معانيه وفق عصرنا، وكونه كجزءٍ من التراث يستلزم قراءته قراءةً نقديةً، يخضع من خلالها للنقد التفكيكي كغيره من الكتب المحرفة، باعتبار أن الغرب لم يتقدم علمياً إلا بعد أن قام بتفكيك نصوص الكتب المقدسة من غيبياتها وإخضاعها للنقد التاريخي التفكيكي، وعلى ذلك فهم يدعون إلى أن يطبق المسلمون هذه المنهجية على كتاب الله تعالى، وأن شرط تقدمهم مرهون بتحررهم من قداسة القرآن، يقول محمد أركون: "لننتقل الآن إلى ما يدعوه الناس عموماً بالقرآن، إن هذه الكلمة مشحونة إلى أقصى حد بالعمل اللاهوتي، والممارسة الطقسية الشعائرية الإسلامية منذ مئات السنين، إلى درجة أنه يصعب استخدامها كما هي، فهي تحتاج إلى تفكيك سابق، من أجل الكشف عن مستويات من المعنى والدلالة كانت قد طمست، وكتبت ونسيت من قبل التراث التقوي الورع، كما من قبل المنهجية الفيولويجية (اللغوية) النهائية، أو المغرقة في التزامها بحرفية النص"[١]. ويتسترون بحجج واهية من قبيل أننا لم نشاهد القرآن الكريم وقت نزوله فينبغي علينا تجريده عن مصدره، ودراسته في هذا الزمن على أنه نص أدبي تطبق عليه المناهج المختلفة في دراسة النصوص الأدبية والتاريخية، وأنه يتغير بتغير الزمان، وغيرها من الحجج الواهية يقول أحمد أبو شادي: "إن الإسلام دين تطوري وفاقاً لتلك المصلحة، لخير البشرية التي يتبع نضوجها المستمر، والقرآن

(١) اركون، محمد، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ اخر للفكر الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، ص٢٩.

الشريف والأحاديث النبوية مجموعة مبادىء خلقية ففيه شواهد هادئة على ضوئها وأسبابها وظروفها، لا أحكام متزمتة لاتقبل التعديل وفاقاً لتبدل الأسباب والظروف"[١].

٣. التشكيك في مضمون القرآن الكريم وتشبيهه بالكتب المحرفة.

يسعى أصحاب القراءة التفكيكية جاهدين إلى إيجاد الصلة بين التوراة والإنجيل المحرفين والقرآن الكريم[٢]، مرددين أقوال أساتذتهم من أصحاب المدرسة التفكيكية الغربية في ما يتعلق بالكتب السماوية، يقول محمد أركون: "من الواضح تاريخياً أن التوراة والأناجيل والقرآن كانت قد رسخت شهادات حية خاصة بأحداث ذات أهمية مثالية نموذجية للوجود البشري تحولت هذه الأحداث إلى نصوص، وأصبحت هذه النصوص تقرأ فيما بعد من قبل الأمة المؤمنة ليس كوثائق تاريخية تخص أمم الأزمنة الغابرة، وإنما ككلام حي باستمرار"[٣]. ويصف ما في القرآن الكريم بأنه أساطير كما في الكتب المحرفة حيث يقول: "إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الأسطوري"[٤]، وفي السياق نفسه يرى أن القرآن الكريم نصاً أسطورياً حيث يقول: "إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الميثي (الأسطوري)"[٥]. أما طيب تزيني فزاد في باطله وادعى أن القرآن خليط من الديانات السماوية بل وحتى الوثنية حيث يقول في كلامه عن القرآن: "يمكن القول بأن الإسلام أخذ الكثير من الأعراف العربية الوثنية والمسيحية والنصرانية واليهودية ...إلخ التي كانت سائدةً في المرحلة السابقة عليه"[٦]، كما يدعو دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم إلى عدم التفريق بين الدين الإسلامي والقرآن الكريم، وبين أي مذهب أو دين محرف، بل يجب عندهم تفكيك القرآن الكريم وكل ما

---

(١) أبو شادي، أحمد زكي، **ثورة الإسلام**، ص٦٣.

(٢) سيأتي الرد على هذه الإشكالية في المبحث الثالث، من الفصل الثاني، تحت المطلب الثالث: بعنوان المنهجية التفكيكية تقليد أعمى.

(٣) أكون، محمد، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، ص١٢٥.

(٤) **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، المرجع السابق، ص٢١٠.

(٥) **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، المرجع السابق، ص٢١٠.

(٦) تيزيني، طيب، **مقدمات أولى في الإسلام المحمدي الباكر، نشأةً وتأسيساً**، ص٢٢٦.

يتصل به من علوم إسلامية من أجل تجاوزه كما فعل الغرب مع المسيحية المحرفة، يقول صالح هاشم: "هناك ركامٌ هائلٌ من اليقينيات المطلقة المعصومة التي تنتظر أن تفكك ويطاح بها، نذكر من بينها على سبيل المثال لا الحصر: كل التصورات المثالية العذبة، ولكن اللاتاريخية التي يحملها عامة المسلمين عن بدايات الإسلام الأولى، وعن كيفية تشكل المصحف، وكتب الحديث، والسيرة النبوية، وشخصيات الأئمة والصحابة والسلف والتابعين وتابعي التابعين ... إلخ، إن كل هذا ينبغي أن يغربل غربلةً شديدةً على ضوء منهج الشك الديكارتي، أو المنهجية التاريخية النقدية التي طبقت على التراث المسيحي من قبل، وأثبتت فعاليتها، وأدت إلى تحرير الوعي المسيحي الأوربي من كل تلك التصورات التبجيلية والأسطورية الموروثة عن العصور القديمة"[(١)]. ومن وسائلهم في التشكيك في القرآن الكريم وإسقاط هيبته بالتلاعب بالألفاظ عند الحديث عن القرآن الكريم في جمل غامضة تحمل في طياتها استخفافاً واستهزاءاً بالقرآن الكريم، وبكونه من عند الله سبحانه وتعالى يقول محمد أركون: "هكذا تشتغل سيادة الله العليا بالكثير من النشاط والفعالية على مستوى المخيلة الفردية والجماعية، ما من أحد يقلق أو يتساءل عن شروط إمكانية وجود الوحي ولا عن صحته أو ظهوره أو نقله"[(٢)]. ويقول مترجم كتبه وصديقه هاشم صالح: "يستخدم أركون مصطلح الظاهرة القرآنية أو الحدث القرآني، وليس القرآن للدلالة على تاريخية هذا الحدث، المقصود أنه حدث لغوي وثقافي وديني يستخدم مرجعياتٍ تعود إلى القرن السابع الميلادي في الجزيرة العربية ... والحدث القرآني انبجاسٌ لغويٌّ رائعٌ وأخاذٌ ومفتوحٌ على العديد من المعاني والدلالات لأنه يستخدم لغةً رمزيةً مجازيةً في معظم الأحيان"[(٣)]. وهذا ما يحلمون به وهو أن يحصل للقرآن الكريم المحفوظ من عند الله ما حصل للكتب المحرفة من تحريف وضياع وهجران الناس لها، وتنحيتها عن الحياة، وذلك باستعمالهم كافة الوسائل والمحاولات، ولن يتحقق حلمهم هذا في حق القرآن الكريم المحفوظ من رب العالمين ما دامت السموات والأرض.

---

(١) صالح، هاشم، **الإسلام والإنغلاق اللاهوتي**، ص٤٥.

(٢) أركون، محمد، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، ص١٨٨.

(٣) أركون، محمد، **قضايا في نقد العقل الديني**، ص٢٩.

٤. تشويه القرآن الكريم وإلصاق التهم به.

يحاول أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن الكريم من خلال المنهجية التفكيكية الانتقاص من القرآن الكريم والحط من قدسيته ومكانته عن طريق تحريف معانيه، وإفراغه من مضامينه، وتأويله بما لا يحتمله، ومن ذلك تأويلات الشيخ رشيد رضا حيث يقول: "وأما لفظ الكفر فيطلق في عرف كتاب اليوم على الملاحدة كما ألمعنا إليه في عرض كلامنا آنفاً، فمهما أطلقنا لقب الكافر أو اسم الكفر في كلامنا فنريد به ما ذكرنا ولا نطلقه على المخالفين لنا في الدين من أصحاب الملل الأخرى لأنهم ليسوا كفاراً بهذا المعنى بل نقول بعدم جواز إطلاقه عليهم شرعاً لأنه صار في هذه الأيام من أقبح الشتائم وأجرح سهام الامتهان وذلك مما تحظره علينا الشريعة باتفاق علماء الإسلام، ولا يصدنك عن قبول هذا القول إطلاق ما ذكر في العصر الأول للملة على كل ما خالف فإنه لم يكن في زمن التشريع يرمي به لهذا الغرض بل كان من ألطف الألفاظ التي تدل على المخالف من غير ملاحظة غميزة ولا إزدراء فضلاً عن إرداة الشتم والإيذاء المخالفة لمقاصد الدين وآدابه[1]..."[2].

ومن أساليبهم أيضاً استعمال الألفاظ المستعارة من الفلسفة الأعجمية وغير اللائقة بالدين الحق، وإلصاق التهم الباطلة به يقول محمد اركون: في حديثه عن قول الله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٥)"لقد اخترت الانطلاق من هذه الآية لأنها تشكل بالنسبة لسورة التوبة المكرسة كلها للتأكيد على النصر السياسي

(١) لا أدري ماذا سيفعل بآيات القرآن الكريم التي يصف الله الجليل بها أهل الكتاب بالكفر ويلعنهم في أكثر من موضع منها قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩) وكيف كانت عبارات القرآن لطيفة سابقاً في عصر التنزيل؟! وعن أي إتفاق بين العلماء يتحدث؟!.

(٢) رضا، محمد رشيد، **مجلة المنار**، ج١، ص١٧-١٩.

والاجتماعي والثقافي الذروة القصوى للعنف الموجه لخدمة المطلق (الله المطلق). لا داعي هنا لطرح المشكلة الفلسفية أو التيولوجية الخاصة بالعنف الذي يحمي أو ينقذ أو يفرض مطلقاً معيناً. ذلك أن السورة كلها تدل على أنه هناك عنف ويمكن أن يكون هناك عنف عندما تكون الحقيقة المطلقة مهددة بالخطر أو حتى فقط عندما تكون مرفوضة"[1]، وصدق الحسن حيث يقول رحمه الله: "أهلكتهم العجمة، يتأولونه – أي القرآن – على غير تأويله"[2].

ومن طرقهم الخادعة أنهم يحاولون أن يبثوا بين المسلمين في عصور انحطاطهم وتخلفهم بسبب بعدهم عن تعاليم الدين الإسلامي الحق والأخذ بالأسباب، أن سبب ذلك التخلف والجهل هو القرآن الكريم يقول هاشم صالح: "فالمنظور القروسطي الظلامي للدين يهيمن على كل فرق السنة والشيعة دونما استثناء: التخويف من النار وعذاب القبر ومنكر ونكير، وكره الحياة الدنيا، والشعور بالإثم والخطيئة والذنب، وكل الرعب الذي يلف الدين موجود لدى كل الطوائف والمذاهب، نحن جميعاً غاطسون في غياهب العصور الوسطى"[3]. ويتضح من خلال مقولاتهم التفكيكية التقويضية رغبتهم في هدم وتقويض ما في نفوس الناس من عقائد وتشكيكهم بها ليسهل لهم الوصول إلى النموذج الغربي في تطبيق النظريات النقدية الحديثة على القرآن الكريم.

٥. رفض التشريع في القرآن الكريم.

ينفي رواد المدرسة التفكيكية والمتأثرون بها كون القرآن الكريم مصدراً للتشريع إجمالاً، وينفون أحكامه واحداً تلو الأخر بحجج واهية، وذلك من خلال أساليب عديدة كتحريف مراد الآيات الصريحة، كقول محمد أبو زيد في حد السرقة الثابت بكتاب الله بالآية الصريحة ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة المائد: ٣٨)، عند تفسيره لها يقول: "واعلم أن لفظ

(١) أركون، محمد، **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، ترجمة: هاشم صالح، ص٩٣.

(٢) رواه عنه البخاري في كتاب **التاريخ الكبير**: ج٥، ص٩٣، برقم: ٢٥٩.

(٣) صالح، هاشم، **الإسلام والإنغلاق اللاهوتي**، ص٢٢.

السارق والسارقة يعطي معنى التعود أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم، ويظهر من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه"[1]، وكذلك في حد الزنى عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ (سورة النور: ٢)، يقول: "يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان من عادتهما وخلقهما فهما بذلك يستحقان الجلد"[2].

ومن أساليبهم أيضاً رفض التشريع القرآني بدعوى التجديد ومواكبة العصر والإتيان بتفسيرات شيطانية غريبة ومبتدعة لا تصدر من عاقل ولا تليق أن تكون معنى لكلام بشري فضلاً أن تكون مراداً لله سبحانه وتعالى، ومن ذلك تفسير محمد شحرور لقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ (سورة النور: ٣٨)، حيث يقسم الزينة إلى قسمين: الزينة الظاهرة، وهي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق، أي كامل الجسد الظاهر كالرأس والبطن والظهر والرجلين وعلل ذلك بأن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس، وهذا يجوز لكل الرجال رؤيته من المرأة، والقسم الثاني الزينة المخفية، وهي ما أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها، هذا القسم المخفي هو الجيوب، والجيب كما عرفه بأنه فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة وهو الخرق في الشيء،

(١) أبو زيد، محمد، **الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن**، ص٨٨.

(٢) **الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن**، المرجع السابق، ص٢٧٤.

فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع الخرق، وهي ما بين الثديين وما تحتهما، وتحت الإبطين والفرج والإليتين، هذه كلها جيوب يجب على المرأة المسلمة أن تغطيها أمام الرجال الأجانب عنها غير المذكورين في الآية، أما المذكورين في الآية فلهم أن يروا حتى ما يُعرِّفه شحرور بالجيوب، وقال نعم يجوز للرجل أن يشاهد ابنته عارية، وليس له أن يقول لها حرام، لأن هذا جائز، ولكن له أن يقول لها عيب من باب الحياء والعرف، وأن على المرأة ألا تتحرج من محارمها لأنهم مدرجين في الآية وحكمهم كزوجها[١]، فالقرآن في نظرهم مجرد مجازات أدبية وحكايات أسطورية ليس لها صلة بالواقع وأنه قابل للتغيير وللتلاعب من زمن لآخر يقول أحمد زكي: "من الحقائق التي يجب التسليم بها أن القرآن الشريف يجب أن يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر إلى عصر، بل من جيل إلى جيل، وعلى هذا لا بد من ظهور تفاسير جديدة متمشية مع روح العصر وتقدم العلم، يؤلفها المطلعون الواعون من الأحرار المفكرين"[٢].

ويقول محمد أركون: "إنه وهم كبير أن يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة"[٣]، ويقول: "إن القرآن كالأناجيل، ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً"[٤]. ويقول أيضاً: "إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تُتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير مُحوَّرة عن مطامح ورؤى، وعواطف حقيقية، يمكن فقط للتحليل التاريخي والسيسيولوجي (الاجتماعي) والبسيكولوجي (النفسي) واللغوي أن يعريها ويكشفها"[٥]. فأصحاب القراءة التفكيكية لا ينفون كون القرآن الكريم مصدر التشريع السديد، بل يعتبرون أن كل ما فيه عبارة عن أساطير وقوانين خاصة بالبيئة التي نزل بها فقط وقد انتهت صلاحيته.

---

(١) أكتفي بهذه الترهات باختصار، وللمزيد ينظر باقي أكاذيبه وتحريفه في ما يتعلق بهذه الأية وما يحل وما يحرم على المرأة في كتابه المليء بمثل هذه الترهات والمسمى: **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، ص٦٠٤ – ٦١٤.

(٢) أبو شادي، أحمد زكي، **ثورة الإسلام**، ص٣٥.

(٣) أركون، محمد، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح ، ص٢٩٩.

(٤) **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٥) أركون، محمد، **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، ص١٩١.

٦. التشكيك في القصص القرآني:

القصص أسلوب من أساليب القرآن الكريم، ولها أهدافٌ تؤكد رسالة القرآن الكريم[١]، ولذلك شكك أصحاب القراءة التفكيكية بالقصص القرآني، واعتبروه أسطورة يقول محمد أركون: "ننتقل الآن إلى النقطة الثالثة من موضوعنا وهي التداخلية النصانية بين القرآن والنصوص الأخرى التي سبقته، وهنا نريد أن نقوم بقراءة تاريخية أفقية للخطاب القرآني، وذلك ضمن منظور المدة الطويلة جداً، بحسب تعبير المصطلح الشهير للمؤرخ الفرنسي (فيرنان بروديل)[٢]، وهذه المدة الطويلة جداً سوف تشمل ليس فقط التوراة والإنجيل، وهما المجموعتان النصيتان الكبيرتان اللتان تتمتعان بحضور كثيف في القرآن، أو في الخطاب القرآني، وإنما ينبغي أن تشمل كذلك الذاكرات الجماعية الدينية الثقافية للشرق الأوسط القديم، وبهذا الصدد يمكن القول إن سورة الكهف تشكل مثلاً ساطعاً على ظاهرة التداخلية النصانية الواسعة الموجودة أو الشغالة في الخطاب القرآني، فهناك ثلاث قصص هي: أهل الكهف، وأسطورة غلغاميش (يقصد به: الخضر) ورواية الإسكندر الأكبر (يقصد به: ذي القرنين) وجميعها تحيلنا إلى الخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم"[٣]. ويتمادون في التشكيك في صحة ما ورد في كتاب الله تعالى من أخبار الأمم السالفة، وقصص الأنبياء، ويدعون إلى قيام دراسة نقدية تمحص تلك الأخبار، إذ يقول محمد أركون "ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات

---

(١) القصص في القرآن الكريم تشكل أكثر من ثلث القرآن الكريم، فنصوص القرآن الكريم إما توحيد أو أحكام تكليفية، أو قصص حكيمة، والقصص بالإضافة لدورها فإنها تؤكد على التوحيد والأحكام التكليفية، فالقصص القرآنية لها أهداف وغايات سامية تؤكد رسالة القرآن الخالدة، وسيأتي ذلك بمزيد من التفصيل في المبحث الثالث بمشيئة الله تحت عنوان: أسس بطلان المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني، في المطلب الأول تحت عنوان: المنهجية التفككيكية تنفي الغيبيات مطلقاً.

(٢) فيرنان بروديل: ولد عام ١٩٠٢م وهو أحد أشهر المؤرخين الفرنسيين خلال القرن العشرين، وأحد مؤسسي المدرسة الفرنسية الجديدة لكتابة التاريخ المعروفة باسم مدرسة الحوليات التي رأت النور في ثلاثينات القرن الماضي، توفي عام ١٩٨٥م.

(٣) أركون، محمد، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح ، ص٢٢٠ – ٢٢١.

التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[١]، بل يعتبرون أن قصص القرآن ما هي إلا أساطير تاريخية لا حقائق واقعية يقول محمد الشرفي: "واعتباراً للغة الكامنة وراء حديث القرآن عن آدم وحواء وعن إبليس والجن والشياطين والملائكة وعن معجزات الأنبياء لا يضر المؤمن أن يرى في كل هذا الذي ينتمي إلى الذهنية الميثية رموزاً وأمثالاً لا حقائق تاريخية"[٢]. من خلال ماسبق يتضح لنا أن أصحاب القراءة التفكيكية يحاولون إبطال كل ما يمت للقرآن الكريم بصلة وزعزعة رسالته الخالدة بوسائل مختلفة، كالدعوى الزائفة بأن قصص القرآن تخالف الوقائع التاريخية وأنها مجرد أوهام لا حقائق، كل ذلك من أجل اساقط مكانة القرآن الكريم وجعله كغيره من الكتب والنصوص البشرية.

٧. رفض منهج السلف في التفسير.

رفض دعاة الفلسفة التفكيكية منهج السلف في التفسير، وذلك من أجل أن يُسَوِّغ رفضهم ذلك تفلُّتهم من ضوابط فهم اللغة ودلالاتها، ولإخضاع النصوص القرآنية لمستجدات الزمن وتطورات العصر بدعوى التجديد وبما يخالف ما وضعه الأصوليون من قواعد شرعية في دراستهم للدلالات حسب المفهوم اللغوي والشرعي[٣]، يقول محمد أركون في نقده للتفاسير والسنة المبينة للقرآن الكريم: "إني أهدف إلى هدم النصوص الثانوية (السنة) والتفاسير والشروحات اللامتناهية التي تحول النصوص الأولى (القرآن) إلى سجن للعقل البشري، هذه النصوص التي قرر الفاعلون الاجتماعيون أن قِدمها التاريخي سبيل إلى اعتبارها لحظة تدشينِ نظامٍ جديدٍ للانتاج وبسط النفوذ، وفرض حقيقةٍ دون أخرى، وإدارة واحدة للقانون والمشروعيات"[٤]، وقال علي حرب المعجب بأفكار اركون ومشروعه

---

(١) أركون، محمد، **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، ص٢٠٣.

(٢) الشرفي، عبد المجيد، **الإسلام بين الرسالة والتاريخ**، ص٥١.

(٣) سبق بيان منهج السلف في تفسير القرآن الكريم، وكيف يفهم القرآن الكريم من خلال الحقائق الأربعة، بالتفصيل في التمهيد لهذا البحث المفيد.

(٤) أركون، محمد، **الأنسنة والإسلام**، ترجمة: محمود غريب، ص١٤٢.

التفكيكي: "ذلك أن هاجس أركون الأصلي هو تفكيك النص القرآني لتعرية آلياته في الحجب والتحوير والتحويل..."[١]، لذلك نجد أن الداعين لتطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم يرفضون كل تفسيرات السلف ويتجاوزونها ويدعون إلى التحاكم إلى العقل وتفضيله على النقل الصريح الصحيح، ليسهل عليهم تطبيق المناهج الباطلة على القرآن الكريم.

٨. التشكيك في جمع القرآن الكريم.

أما موقفهم من جمع القرآن الكريم فيشككون في الروايات الإسلامية حول كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي وجمعه في عهد أبي بكر الصديق وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين[٢] يقول محمد أركون: "إن الانتقال من مرحلة الخطاب الشفهي إلى مرحلة المدونة النصية الرسمية المغلقة (أي إلى مرحلة المصحف)، لم يتم إلا بعد حصول الكثير من عمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية التي تحصل دائماً في مثل هذه الحالات. فليس كل الخطاب الشفهي يُدون، وإنما هناك أشياء تفقد أثناء الطريق. نقول ذلك ونحن نعلم أن بعض المخطوطات قد أُتلفت كمصحف ابن مسعود مثلاً، وذلك لأن عملية الجمع تمت في ظروفٍ حاميةٍ من الصراع السياسي على السلطة والمشروعية"[٣]، وقال أيضاً: "وفي أثناء عملية الانتقال من مرحلة التراث الشفهي إلى مرحلة التراث الكتابي تضيع أشياء، أو تحور أشياء، أو تضاف بعض الأشياء"[٤]، ويقول في وقاحة: "إن عملية الانتقال من مرحلة النص الشفهي إلى مرحلة النص المكتوب تتضمن حتماً بضياع جزء من المعنى"[٥].

---

(١) حرب، علي، **الممنوع والممتنع**، ص١٢٠.

(٢) سيأتي الرد على هذه الشبه وبيان كيف تم جمع القرآن الكريم في المبحث الثالث، من الفصل الثاني، تحت المطلب الثاني بعنوان: المنهجية التفكيكية خارجة عن الأصول العلمية والقواعد اللغوية، بإذن الله تعالى.

(٣) أركون، محمد، **قضايا في نقد العقل الديني**، ص١٨٨.

(٤) **قضايا في نقد العقل الديني**، المرجع السابق، ص٢٣٢.

(٥) أركون، محمد، **العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب**، ص٢٨.

ولم يشككوا بجمع القرآن فحسب بل انتقلوا للتشكيك في شهادات الصحابة ورواياتهم يقول محمد اركون: "فنحن نجد أن جيل الصحابة هو وحده الذي رأى وسمع وشهد الظروف الأولى والكلمات الأولى التي نقلت فيما بعد على هيئة القرآن و الحديث و السيرة. إنه لمن الصعب تاريخياً، إن لم يكن من المستحيل، التأكيد على القول بأن كل ناقل قد سمع بالفعل ورأى الشيء الذي نقله. على الرغم من هذه الحقيقة، فالنظرية الثيولوجية المزعومة قد فرضت بالقوة فكرة إن كل الصحابة معصومون في شهاداتهم ورواياتهم"[١].

٩. الطعن فيما ورد من أخبار الغيب في القرآن الكريم.

الطعن في كتاب الله تعالى وبما ورد فيه من غيبيات، والتشكيك في مصدره الرباني بأساليب متعددة يقول محمد أركون: "ولكن ظاهرة أن الخطاب القرآني قد استطاع بهذه الطريقة (ولا يزال) خلع القدسية والتعالي على التاريخ البشري الأكثر مادية ودنيوية والأكثر عادية وشيوعاً ينبغي ألا تنسينا تلك الآنية والاعتباطية الجذرية للأحداثِ الذرائع التي أدت إلى ظهوره وتجليه"[٢]، ثم يشرح مترجم كتبه ويكشف حقيقة مشروعهم التفكيكي، حيث يقول هاشم صالح، عن موقف أركون من الغيبيات: "يقصد أركون بذلك أن وعينا الحديث الراهن يعجز عن تصديق وجود مثل هذه الجنات بشكل مادي محسوس، هذا في حين أن وعي الناس في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان منغمساً بالخيال، ولا يجد أية صعوبة في تصور ذلك، واعتباره حقيقة واقعة، لقد كان الوعي آنذاك غير قادر على التفريق بين الأسطورة والتاريخ أو بين العوامل المثالية التصورية والعوامل الواقعية المادية"[٣]، وكذلك سار على نفس الخطى الأستاذ محمد رشيد رضا وبعض العقلانيين المعاصرين في إنكار الغيبيات، ومحاولة إخضاعها للعقل القاصر، ومن ذلك إنكاره إمداد المسلمين في غزوة بدر الكبرى بالملائكة الكرام ومشاركتهم في القتال، وبرر ذلك بتأويلات عقليه لا معنى لها، حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم

(١) أركون، محمد، **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، ص١٧٤.

(٢) **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، المرجع السابق، ص٩١ – ٩٢.

(٣) **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، المرجع السابق، ص٩٩ الحاشية.

بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٩): "وظاهر نص القرآن أن إنزال الملائكة، وإمداد المسلمين بهم فائدة معنوية، وأنهم لم يكونوا محاربين" وقال: "وما أدري أين يضع بعض العلماء عقولهم عندما يغترون ببعض الظواهر وببعض الروايات الغريبة التي يردها العقل ولا يثبتها ما له قيمة من النقل. فإذا كان تأييد الله للمؤمنيين بالتأيدات الروحانية التي تضاعف القوة المعنوية، وتسهيله لهم الأسباب الحسية كإنزال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافياً لنصره إياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف وقيل آلاف من الملائكة يقاتلونهم معهم فيفلقون منهم الهام ويقطعون من أيديهم كل بنان، فأي مزية لأهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن غزوا بعدهم وأذلوا المشركين وقتلوا منهم الألوف؟... ألا إن في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن أفضل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأشجعهم ما لا يصدر عن عاقل إلا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطلة لا يصح لها سند[1] ولم يرفع منها إلا حديث مرسل

---

(١) مع أن نص الآية واضح في إنزال الملائكة واشتراكهم في القتال، كما توجد أحاديث صريحة وصحيحية تؤكد معناها، ومع ذلك يصدر مثل هذا الكلام الخطير الذي فيه مغالطة وطعن بجهود العلماء وبالتراث الإسلامي، وبالسنة المطهرة الشارحة لكتاب الله تعالى، فقد ورد في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة أحاديث تفيد بذلك فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: أَنَّ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال يومَ بدر: «هذا جبريلُ آخذ برأس فرسه، عليه أدَاةُ الحرب». **جامع الأصول** برقم: ٦٠١٦، وروى الإمام مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: قال : حدَّثني عمرُ بنُ الخطاب قال: «لما كان يومُ بدر نظرَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المشركين وهم ألف، وأصحابُه ثلاثُمائة وتسعةَ عشر رجلا، فاستقبل نبيُّ الله – صلى الله عليه وسلم– القِبْلَةَ، ثم مدَّ يديه، فجعل يَهْتِفُ بربِّهِ يقول: اللهم أنْجِزْ لي ما وعدتني، اللهم آتِنِي ما وعدتني، اللهم إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ من أهل الإسلام لا تُعبدْ في الأرض، فما زال يهتف بربِّه مادا يديه مُسْتَقبلَ القبلة، حتى سقط رداؤه عن مَنْكِبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه فأخذه من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله، كفاك مُنَاشَدَتُك ربَّك، فإنَّه سَيُنْجِزُ لَكَ ما وَعَدَكَ، فأنزلَ الله – عز وجل –: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩) فأمدَّه الله بالملائكة». قال سماك: فحدَّثني ابنُ عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يَشْتَدُّ في أَثَرِ رجل من المشركين أمامه، إذْ سمعَ ضربة بالسَّوْطِ فوقه، وصوتَ الفارسِ يقول: أقدِمْ حَيْزُوم، إذ نظر إلى المشركِ أمامه خَرَّ مُسْتَلْقِيا، فنظر إليه، فإذا هُوَ قد خُطِم أنفُه وشُقَّ وجهُه، كضربة السَّوْط، فاخضرَّ ذلك أجمعُ، فجاء الأنصاريُّ =

عن ابن عباس رضي الله عنه ذكره الألوسي وغيره..."[1] كل ذلك التشكيك في مختلف الجوانب المتعلقة بالقرآن والطعن بها، للوصول إلى ما وصل إليه الغرب في تحريفهم وانحرافهم، وأن القرآن مجرد كتاب عادي يمكن إخضاعه للمنهج التفكيكي، يقول الدكتور ناصر العقل: "إن الشيخ محمد عبده يعتبر من أوائل العلماء المسلمين الذين تعرضوا في العصر الحديث لتأويل نصوص القرآن لتتفق مع النظريات الغربية خاصة ما يتعلق بأمور الغيب كالملائكة، والجن، والقصص، والمعجزات، وأحس أنه إذا عرض لتفسير هذه الأمور... أنه يقع في تناقض واضطراب ومراوغة بين الالتزام والتأول وكأنه يشعر برقيب من العلم الحديث، أو لعله كان يريد المصالحة أو التقريب بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، لكنه – كما عبر الشخ مصطفى صبري في كتابه (موقف العقل)[2] – قرب المؤمنين إلى الإلحاد خطوات ولم يقرب الملحدين إلى الإيمان خطوة"[3].

فحدَّث بذلك رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال: صدقتَ، ذلك مِن مَدَدِ السماء الثالثة، فقَتَلُوا يومئذ سبعين، وأَسروا سبعين» **جامع الأصول** برقم: ٦٠١٤.

(١) رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار**، ج٩، ص٥٦٦-٥٦٧.

(٢) صبري، مصطفى **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، ج١، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) العقل، ناصر عبد الكريم، **المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية**، ص٢٤٢-٢٤٣.

الفصل الثاني

نقد توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول

نقد المنهجية التفكيكية من خلال بيان مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه

المبحث الثاني

نقد المنهجية التفكيكية من خلال أصول فهم الخطاب القرآني

المبحث الثالث

أسس بطلان المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني

الفصل الثاني

نقد توظيف المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وضمن حفظه من التغيير والتحريف إلى قيام الساعة فقال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩) ولأن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية وهو الخالد المحفوظ من أي تحريف فكان لا بد لأصحاب الأهواء من التسلل إلى مفهوم خطاب القرآن الكريم للدس فيه بما لم يقله النص القرآني وسيتضح ذلك بجلاء من خلال المبحث الأول في هذا الفصل. وبما أن القرآن الكريم آخر الكتب الإلهية وأشملها، وجاء لإصلاح أمور العالمين إلى قيام الساعة، امتاز خطابه بخصائص عديدة لم تتوافر في أي من الكتب السماوية قبله، ولا في الكتب الوضعية البشرية بعده، كما سأبينها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

وفي المبحثين السابقين رد على أصحاب المنهجية التفكيكية في محاولة تسللهم إلى القرآن الكريم، ثم بمزيد من التفصيل يكون الرد على أصحاب المنهجية التفكيكية وبيان بطلان أسس منهجم في المبحث الثالث.

وستكون المباحث مرتبة على النحو التالي:

المبحث الأول: نقد المنهجية التفكيكية من خلال بيان مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه.

المبحث الثاني: نقد المنهجية التفكيكية من خلال أصول فهم الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: أسس بطلان المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني.

المبحث الأول

نقد المنهجية التفكيكية من خلال بيان مفهوم الخطاب القرآني وخصائصه

يحاول أصحاب القراءة الحداثية المعاصرة عموماً وأصحاب المنهجية التفكيكية خصوصاً تطبيق نظرياتهم على القرآن الكريم، ولكنهم يواجهون بأن النص القرآني محفوظ من رب العالمين، فيتسللون عبر مفهوم الخطاب القرآني ليدسوا فيه ما يحلو لهم، ليخدعوا به من تنطلي عليه خدعهم وتلبيساتهم المنكرة، فما هو النص القرآني؟ وما هو مفهوم الخطاب القرآني؟ وكيف تسللوا عبر مفهوم الخطاب القرآني؟ وما هي خصائص الخطاب القرآني؟ من خلال هذه الأسئلة وغيرها سيحاول الباحث نقد المنهجية التفكيكية في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: مفهوم الخطاب القرآني.

المطلب الثاني: خصائص الخطاب القرآني.

المطلب الأول

مفهوم الخطاب القرآني

تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، قال الأئمة المفسرون: الطبري، والقرطبي، وابن كثير وغيرهم إن المراد بالذكر في هذه الآية القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى حفظ القرآن الكريم من أن يزاد فيه ما ليس منه أو ينقص ما هو منه[١]، وحِفظُ القرآن الكريم من الأمور البديهية الثابتة بيقين، كما يشهد على ذلك صفحات الواقع والتاريخ، وقد أجمع المسلمون على حفظه، وأن من أنكر شيئاً منه ولو حرفاً فهو كافر، قال القاضي عياض[٢] رحمه الله-: "وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان من أول ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخر ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أنه كلام الله، ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك، أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر"[٣]، وأكد ذلك الإمام ابن قدامة[٤] – رحمه الله تعالى – حيث قال:

---

(١) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، ج١٧، ص٦٨-٦٩. والقرطبي، عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، ج١٠، ص٥-٦. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، ج٤، ص٥٢٧.

(٢) الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي، كما في **سير أعلام النبلاء**، ص٢١٢-٢١٨، وله ترجمة وافية في **الديباج المذهب في أعيان المذهب**: ١٦٨-١٧٢.

(٣) اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عامر الجزار، ص٤٩٠.

(٤) الشيخ الإمام القدوة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، صاحب كتاب المغني، كما في **سير أعلام النبلاء**، ج٢٢، ص١٦٥-١٧٣. وله ترجمة وافية في كتاب **الذيل على طبقات الحنابلة**، ج٢، ص١٣٣-١٤٩.

"ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر"[1]. فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له ولا يمكن الزيادة فيه أو النقصان منه. وتعريف القرآن الكريم هو الذي يمكن اطلاق عليه تعريف النص القرآني، فالنص القرآني هو كلام الله المنزل علي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلي آخر الناس[2]. فلا يمكن الزيادة في النص القرآني أو النقصان منه، ولذلك حاول أعداؤه بمختلف أصنافهم التسلل إليه عن طريق مفهوم خطابه، يقول الدكتور محمد الذهبي: "مُني الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له، ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد، وطرق الهدم، وكان من أهم الأبواب التي طرقوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة: تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة، تتنافى مع ما في القرآن من هداية، وتناقض ما هو عليه من محجة بيضاء، وتهدف إلى ما سولته لهم نفوسهم من نحل خاسرة وأهواء!!.

مُني الإسلام بهذا من أيامه الأولى، ومني بمثل هذا في أحدث عصوره، فظهر في هذا العصر أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم، ويقضي حاجات في نفوسهم، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة ومزاعم منبوذة، تقبلها بعض المخدوعين من العامة وأشباه العامة ورفضها بكل إباء من حفظ الله عليهم دينهم وعقولهم"[3]، وهذا ما يحاول أصحاب القراءة التفكيكية فعله من خلال التلاعب بمفهوم خطاب القرآن الكريم وذلك لتحريف رسالته ونقضها وذلك من خلال "تبرير الواقع المعاصر لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام. ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب، فإذا كانت الآية واضحة الدلالة، والأحاديث النبوية صحيحة قالوا: إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية، لا تصلح لعصرنا الحاضر، وإذا كانت أحاديث آحاد قالوا: لا يؤخذ من خبر الآحاد تشريع ولا تبنى عليه عقيدة، أو ألغوا بعض الأحاديث

---

(١) ابن قدامة، موفق الدين عبد الله المقدسي، **لمعة الإعتقاد**، ص٢٢.

(٢) ينظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج١، ص١٥ وما بعدها.

(٣) الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ج٢، ص٤٥٧.

الصحيحة بحجة أنها سنة غير تشريعية... ثم يتهمون الفقهاء بالجمود وضيق الأفق!! إن هذه التجاوزات – لو أُخذ بها – فلن تترك ثابتاً من ثوابت الإسلام إلا وحاولت مسخه أو تشويهه، ومن ثم فالعصرانيون يرددون دائماً آراء من سبقهم من أصحاب المدارس العقلية، أو ترهات المستشرقين وأحقادهم"[١].

وأما المراد بمفهوم الخطاب القرآني فلا بد من تعريفه ليتضح المعنى، والفرق بينه وبين النص القرآني.

التعريف اللغوي لكلمة الخطاب، الخطاب لغة كما جاء في لسان العرب هو مراجعة الكلام[٢]. أما تعريف الخطاب اصطلاحاً: فقد عُرف "بأنه كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها"[٣]. فالنص القرآني غير مفهوم الخطاب القرآني كما سبق، وليس هو تأويل القرآن الكريم، فتأويل القرآن الكريم هو التفسير الحرفي لكلماته ومعانيه. وتفسير القرآن الكريم يمكن التلاعب به، ولكن سرعان ما يكشف وذلك لكون كلمات القرآن الكريم باللغة العربية الواضحة التي لا يمكن التلاعب بها إلا من قبل جاهل لا يعقل ما يفعل. لذلك بحث أصحاب المنهجية التفكيكية عن شيء غير قطعي يمكن لهم التلاعب به ليدسوا أفكارهم ومفاهيمهم في القرآن الكريم بصورة غير واضحة فكان ذلك هو مفهوم الخطاب القرآني، يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: "ثم إن الفلاسفة الموفقين بين الدين والفلسفة، كانت لهم طريقتان يسيرون عليهما في توفيقهم. أما الطريقة الأولى: فهي طريقة التأويل للنصوص الدينية والحقائق الشرعية، بما يتفق مع الآراء الفلسفية، ومعنى هذا إخضاع تلك النصوص والحقائق إلى هذه الآراء حتى تسايرها وتتمشى معها. وأما الطريقة الثانية: فهي شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالأراء والنظريات

---

(١) الناصر، محمد حامد، **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، ص٢٥٧.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مادة خطب، ج١، ص٣٦٠.

(٣) الطيار، أحمد عبدالله **تأويل، الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد**، حولية كلية – أصول الدين القاهرة، العدد: (٢٢)، ٢٠٠٥م، م٣، ص ١٢.

الفلسفية، ومعنى هذا أن تطغى الفلسفة على الدين وتتحكم في نصوصه، وهذه الطريقة أخطر من الأولى، وأكثرها شراً منها على الدين"[1]. ولذلك نجد كثرة استخدامهم لتعبير مفهوم الخطاب القرآني للطعن في القرآن الكريم وفي أحكامه وللتستر بهذه الكلمة عن الطعن بالنص القرآني مباشرة يقول أحدهم: " لقد نسخت الحضارة الإنسانية الحديثة بفعل تجارب الحروب واضطهاد البشر بعضهم بعضاً، آيات عدة مثل آيات الرقيق مثلاً، ... وهذا النسخ وقع بيد الإنسان لا بحكم آية قرآنية أو حديث من الصحاح أو فتوى شرعية. إن تكرار مقولة (لا اجتهاد في موضع النص)، يتصادم مع إلغاء هذه الأحكام وغيرها على أرض الواقع. فلماذا نقبل بنسخ العصر الحديث لآيات الرقيق، ولا نبادر نحن لنسخ آيات انقضى حكمها وأصبحت لا تنتمي إلى عالمنا اليوم؟. إن النص المقدس يعالجه ما هو مقدس أيضاً، ألا وهو العقل البشري، الذي يعد أثمن هبة إلهية للإنسان، ولذلك ينبغي أن نفهم النص وفق ما يقرره لنا العقل المشبع بالعلم، والغني بتجارب البشرية من حروب ودماء ومآسٍ، بدلاً من التمسك ببدائية فكرية بحرفية النصوص، خصوصاً أن القدماء قالوا: إن القرآن حمال أوجه"[2]. فمفهوم الخطاب القرآني يقوم على أصول القرآن الكريم وثوابته، أي المسائل الغير قابلة للتغيير، لأنها أركان يقوم عليها بنيان الإسلام وشريعته، وهو تصور ناتج من مجموع النصوص القرآنية أو نص واحد حول قضية، وعليه فإن مفهوم الخطاب القرآني لا ينفصل عن النص القرآني بل هو مرتبط به كارتباط الروح بالجسد، ولا يمكن التوصل لفهمٍ صحيح لخطاب القرآن الكريم إلا بالضوابط العلمية التي تؤثر وتصنع مفهوم الخطاب القرآني وفي هذا السياق يقول الباحث عبد الرحمن الحاج: "إن هذا التعريف للخطاب يقتضي أن النص بقدر ما هو مفارق لمفهوم الخطاب هو في الوقت نفسه جزء منه، كما يقتضي أنه لا بد أن يكون هناك سياق ما للخطاب ليمارس فيه فعله ويؤسس سلطته؛ إذ لا يمكن أن يكون هناك خطاب بدون سياق (أو مناسبة) عام أو خاص. والسياق في الواقع نوعان، سياق لورود الخطاب، وسياق لتلقيه، ولكل منهما دوره في التأثير على فهم الخطاب، وإن كلا من

---

(١) الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ج٢، ص٣٦٦.

(٢) مقالة بعنوان: **تجديد الخطاب الديني أم تجديد الإسلام؟**، علي أديب، موقع رصيف٢٢، نشر بتاريخ ٢٠١٥/١٢/١٢م.

طرفي الخطاب (المخاطِب والمخاطَب) وسياقي الخطاب (الورود والتلقي) ووسيلة الخطاب (النص) تؤلف ما يسمى (عناصر الخطاب) الستة، وهي مجموعة العناصر التي تعتبر من لوازم مفهوم الخطاب، وهي بالنسبة للقرآن الكريم: المخاطِب (الله)، والمخاطَب (المخلوقات العاقلة ذات الإرادة المستقلة)، والخطاب (موضوع الخطاب ومحتوى الخطاب)، ووسيلة الخطاب (القرآن)، وسياق نزول الخطاب (عصر الرسول صلى الله عليه وسلم)، وسياق تلقي الخطاب (عصر متلقي الخطاب)"[1]. وإن أي محاولة لاستنتاج مفاهيم الخطاب القرآني لا بد أن يتوافر فيها خصائص النص القرآني، ولا بد أن تنطلق من الأسس العلمية لفهم الخطاب القرآني التي سأذكرها في المبحث التالي لهذا المبحث تحت عنوان نقد المنهجية التفكيكية من خلال أصول فهم الخطاب القرآني.

(١) الحاج، عبدالرحمن، **القرآن من تفسير النص إلى تحليل الخطاب**، دراسة نشرت بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٦م، موقع التفسير والمفسرون.

المطلب الثاني

خصائص الخطاب القرآني

كما سبق أن مفهوم الخطاب القرآني غير النص القرآني، ولا ينفصل عنه، ولا يمكن فهمه أو قطع علاقته بالنص القرآني، ولذلك لابد أن تتوافر خصائص في مفهوم الخطاب القرآني هي جزء أساسي من خصائص النص القرآني، وهي جوهر وأساس رسالة القرآن الكريم، وإن أي ادعاء من قبل أصحاب المنهجية التفكيكية وغيرها لمفاهيم للخطاب القرآني لا تراعي هذه الخصائص، ومحاولة إخضاع مفهوم الخطاب القرآني قسراً لمذاهب أو تيارات أو مناهج عُرضة للتغير فهي مردودة وباطلة، وهذه الخصائص هي.

- ان يكون عالمياً للبشرية كلها.

النص القرآني يخاطب الخلق كلهم الإنس والجن على اختلافهم وتنوعهم فقد ورد ذلك في عدة مواضع من القرآن منها قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم – عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (سورة سبأ: من الآية ٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (سورة لأنبياء: ١٠٧)، فمفهوم الخطاب القرآني لا بد أن يكون كذلك عالمياً للناس كافة فلا يقف عند مكان معين أو لون وجنس أو طائفة دون أخرى، وينبغي أن يكون كذلك موجهاً للناس كافة ويراعي تفاوتهم، فالناس لهم مشارب مختلفه ومذاهب متنوعة، لذلك لا بد أن يكون الخطاب القرآني متنوعاً يروي ظمأ الجميع من علماء ومتعلمين، وأغنياء وفقراء مسلمين وغير مسلمين، يخاطب كلاً على حسب فهمه وقدرته وفيما يخصه ويتعلق به، ولا بد من التنوع ما بين الترغيب والترهيب، وما بين التفكر والتدبر، والتأمل والاستنباط والاستنتاج، وإذا تأملنا نصوص القرآن الكريم نجد أنها موجهة للناس كافة في عمومها كما أنها تخاطب كل فئة حسب ما يحتاجون وما يليق بهم، فبالإضافة إلى الخطاب العام للناس كافة هناك خطاب خاص بالمؤمنين، وخطاب خاص للكافرين

والمنافقين، وخطاب خاص للرجال، وخطاب للنساء، وخطاب يدركه الجميع، وخطاب للعلماء، فالكل يجد حاجته في القرآن الكريم الذي جاء لتحقيق السعادة للناس كلهم في الدنيا والآخرة، على مر العصور والأزمان إلى قيام الساعة، ففي خطاب القرآن الكريم العام للجميع يقول تبارك وتعالى واصفاً القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥)، فمفهوم خطاب هذه الآية الكريمة، أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشادٍ للناس إلى سبيل الحق، وآياته بينة وواضحة وفرقانٌ بين الحق والباطل إلى قيام الساعة. وفي موضع آخر يقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء: ١)، فمهوم خطاب هذه الآية الكريمة دعوة جميع الخلق على اختلاف أجناسهم وألوانهم إلى توحيد الله وعبادته، وصلة الأرحام، والتذكير بأصل خلقهم وتساويهم في ذلك. وفي آية أخرى يوجه سبحانه وتعالى أمره لرسوله صلى الله عليه وسلم ليخاطب الناس جميعاً فيقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٨٥)، مفهوم خطاب هذه الآية الكريمة يؤكد على عالمية القرآن الكريم وأنه لهدايتهم، ويذكر البشرية بعظمة خالقهم الذي تجب عليهم طاعته، والإيمان به وبرسوله. والأمثلة على عالمية القرآن الكريم في كتاب الله كثيرة، وهذا هو دأب القرآن الكريم في تأكيد رسالته العالمية الشاملة بأوضح وأصرح النصوص القرآنية التي لا تحتمل التأويل فلا يسعنا إلا أن نقول: إنه كتاب عالمي للبشرية كلها. فادعاء أصحاب المنهجية التفكيكية والقراءة المعاصرة بمفاهيم للخطاب القرآني تخالف هذه الخاصية من خصائص مفهوم الخطاب القرآني مردوة وباطلة كدعوى تاريخية القرآن، وأنه غير صالح لكل زمان وأنه خاص بالجيل الذي نزل فيهم.

- وسطية المنهج.

الخطاب القرآني يراعي التوازن بين العقل والوحي، وبين المادة والروح، وبين الحقوق والواجبات، ويراعي جميع جوانب الحياة كلها دون إفراط أو تفريط، ودون غلوٍ أو تشدد أو انحلال، فهو منهج الاعتدال والتوسط في الأمور كلها قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة: ١٤٣)، فأمة الإسلام وسط في كل شيء يقول الطاهر ابن عاشور عند تفسير هذه الآية: "والآية ثناء على المسلمين بأن الله قد ادخر لهم الفضل وجعلهم وسطاً بما هيأ لهم من أسبابه في بيان الشريعة بياناً جعل أذهان أتباعها سالمة من أن تروج عليهم الضلالات التي راجت على الأمم، قال فخر الدين يجوز أن يكونوا وسطاً بمعنى أنهم متوسطون في الدين بين المُفرِطِ والمُفَرِّط والغالي والمقصر لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا المسيح – على نبينا وعليه صلوات الله وسلامه – ابن الله، ولم يقصروا كما قصرت اليهود فبدلوا الكتب واستخفوا بالرسل"[1]، والملاحظ أن النصوص القرآنية قد أكدت هذه الخاصية في أكثر من موضع إما مباشرةً كقوله تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥)، أو من خلال أحكام القرآن الكريم وتشريعاته السمحة السهلة على النفس المستقيمة والتي لا تعارض العقل أو ترهق الجسد، كما في الديانات السابقة المحرفة كاليهودية والمسيحية أو الوضعية كالوثنية، ففي الإنفاق مثلاً يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (سورة الإسراء: ٢٩)، أو من خلال تنوع النصوص القرآنية وتناولها لجميع جوانب الحياة فلا تقتصر على جزء دون غيره، فتخاطب الروح والعقل، وترغب وترهب، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة:

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص١٨.

١٨٦)، ويبين سبحانه وتعالى لعباده أنه قريب منهم وأن رحمته واسعةٌ حتى لا ييأس المقصرون فيقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر: ٥٣)، وهكذا فإن المتأمل للنصوص القرآنية يجد أنها كلها تؤكد هذه الخاصية، خاصية الوسطية، فلذلك يجب أن تكون المفاهيم المستنتجة من الخطاب القرآني كلها بنفس الخاصية، وتراعي كافة الجوانب الروحية والعقلية، والرحمة والشدة في تطبيق الحقوق والواجبات والأحكام، فلا يعتبر بكلام أصحاب المنهجية التفكيكية الذين ينسبون مفاهيم للخطاب القرآني لا تراعي الوسطية، كالقول بأن القرآن دين أحكام فقط أو أنه يركز على الجانب الروحي والعقدي فقط، أو أن مفهوم خطابه قائم على العنف والشدة، وغيرها من الافتراءات الباطلة.

- الشمول لجميع الجوانب.

إن الخطاب القرآني أصل هذا الدين الذي جاء كاملاً وشاملاً لكل جوانب الحياة سواء الدنيوية أو الأخروية، فلا يغفل عن الآخرة من أجل الدنيا ولا ينسى حظه من الدنيا، فهو شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه ومع غيره، يقول تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص: ٧٧)، فالخطاب القرآني جاء لتحقيق أمرين للعباد: سعادتهم بتنظيم حياتهم في الدنيا، والنجاح والفلاح في الآخرة، فجميع النصوص القرآنية إما لإصلاح الدنيا كآيات الأحكام والمعاملات، مثل قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٧٩)، أو لإرشاد الناس للفوز في الأخرة وذلك من خلال الحديث عن الجنة والترغيب فيها، أو الحديث عن النار والترهيب منها كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (سورة الحديد: ٢١)، فلا بد من أن يكون مفهوم خطاب القرآن الكريم كذلك شاملاً لكل الجوانب ولتحقيق السعادة والفوز للعباد في الدارين، وإن أي مفهوم للخطاب القرآني لايحقق هذين الأمرين فهو مردود وباطل كالمفاهيم التي يدعيها أصحاب المنهجية التفكيكية التي لا تحقق إلا الخراب والفوضى في الدنيا والخسران والهلاك في الأخرة.

- إرتباط بالأصل واتصال بالعصر.

الخطاب القرآني جاء للناس كافة لتحقيق السعادة لهم في الدارين، ولإرشادهم للتي هي أقوم على مر العصور والأزمنة، فهو آخر الكتب الإلهية للبشرية كلها، فهو ليس بنص عصر، أو جيل، أو مصر، ثم ينتهي بانتهائه، وهو غير قابل للتأقيت لأنه يتضمن كلمات الله الباقية و هدايته المستمرة. ولذلك لا بد أن يكون مفهوم الخطاب القرآني صالحاً للعصر، ومرتبطاً بالماضي والأصل، ولا بد أن يبرز خصوصية الأمة وتفردها وارتباطها بأصولها العظيمة، ويستخدم مستجدات العصر وآلياته الحديثة من أجل تحقيق مصلحة الأمة، فلا بد من جعل مفهوم الخطاب القرآني متصلاً بالأصول العامة للنص القرآني وعدم إغفال الواقع المعاصر الذي نعيش فيه، خاصةً وأن القرآن الكريم قد حث على العلم وأمرنا ببذل الوسع في الحفاظ على الأمة والارتقاء بها ودفع الشر عنها يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٦٠)، قال الطاهر ابن عاشور عند تفسير هذه الآية: "ودخل في ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾ كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة"[1]، فلا يقتصر الإعداد على الجانب الحربي فقط بل كل الجوانب التي تضمن

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** ، ج١٠، ص٥٥.

للأمة قوتها وتقدمها مهما تطورت، ويقول السعدي: "أي وَأَعِدُّوا لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير"[1].

- الصدع بالحق بلا انهزام.

النص القرآني صريح وواضح في الحق ولا يبالي بأحد من العالمين قال تعالى مخاطباً نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ (سورة الحجر: ٩٤)، بل توعد سبحانه وتعالى الذين يكتمون ما أنزل الله أو يحرفونه فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٥٩)، قال الإمام ابن كثير حمه الله عند تفسير هذه الآية: "هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله"[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج١، ص٣٢٤.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٤٧٢.

رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٣٦)، والآيات كثيرة في التحذير من التلاعب بآيات الله وتحريفها عن الحق الذي جاءت به، لذلك يجب أن يكون مفهوم الخطاب القرآني كذلك، يجهر بفكرته في وضوح وقوة، ولا يطلب رضا الناس، فإرضاءهم غاية لا تدرك ولكن رضا الله تعالى هو المطلب المنشود والمراد المقصود، فلا يعتبر من مفهوم الخطاب القرآني المفاهيم التي تلوي أعناق النصوص من أجل مسايرة الغرب وجعل القرآن الكريم مساوياً للحضارة الغربية الزائفة.

المبحث الثاني

نقد المنهجية التفكيكية من خلال أصول فهم الخطاب القرآني

حاول رواد القراءة المعاصرة للقرآن الكريم عموماً، وأصحاب المنهجية التفكيكية خصوصاً، فهم القرآن الكريم ولكنهم ضلوا، وتخبطوا في فهمهم، وجاؤا بمفاهيم باطلة لا تمت للقرآن الكريم بصلة، وذلك لأنهم اعتمدوا على أهوائهم، ولم يعتمدوا على أصول فهم الخطاب القرآني، ولا يمكن فهم الخطاب القرآني فهماً صحيحاً إلا من خلال أصولٍ وضوابط وضعها العلماء المختصون في علم تفسير كتاب الله الجليل، والتي بسبب تركها وإهمالها ضل وانحرف دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية، عندما طبقوا فلسفتهم على الآيات القرآنية، وسيتبين في هذا المبحث بمشيئة الله الكريم الأصول التي من خلالها يمكن فهم الخطاب القرآني والتي ضل بتركها دعاة تطبيق التفكيكية على القرآن الكريم، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: أصل معهود القرآن الكريم في الخطاب.

المطلب الثاني: أصل معهود العرب في الخطاب.

المطلب الثالث: أصل الفهم وفق دلالات عصر النزول.

المطلب الرابع: أصل اعتماد السياق والمعاني الكلية.

المطلب الأول

أصل معهود القرآن في الخطاب

أنزل الله القرآن الكريم على رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم بأفصح لغة وأشملها بياناً وكفى به تشريفاً لها بأن نطق بها خير رسل الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهي لغة آخر الكتب الإلهية للبشرية كلها، وقد روي أنها لغة أهل الجنة[1]، ومع ذلك فإن القرآن الكريم لم يأت لبيان اللغة العربية، أو تابعاً لها، بل إن اللغة هي التي تتبع القرآن وتفسر معانيه في الكلمات التي لم يختص بها القرآن الكريم، أي ليس له فيها معهود خاص، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانية، فإن نسبة معانية إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ، وأجلها، وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانية أجل المعاني وأعظمها، وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي، فتدبر هذه القاعدة ولتكن منك على بال فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه... فهذا أصل من أصوله (أي التفسير) بل هو من أهم أصوله"[2]، وذلك لأن القرآن الكريم أساس الشريعة وجاء لبيان الأحكام الشرعية والتي لا تعرف إلا من جهته، لا لتعريف اللغة المعروفة، كما أن الأحكام الشرعية تتعلق بالاسم والحقيقة الشريعة وهي معهود القرآن الكريم دون اللغوية، ومن هنا ينشأ الخطأ في فهم الخطاب القرآني عند محاولة فهمه

---

(١) ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عدة آثار تفيد بذلك، وبعض تلك الآثار ضعيف وبعضها صحيح، ينظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، تحقيق: زائد أحمد النشيري، ص٧٩٩.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد، ج٣، ص٥٣٨.

بعيداً عن معهوده في الخطاب، قال الإمام ابن تيمية[1] رحمه الله في حديثه عن أسباب الخطأ والاختلاف في التفسير: "أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، ثانيها: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه والمخاطب به. فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط بذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق. والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه، وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا"[2]، ولا يتحق المقصود من القرآن إلا من خلال فهمه وفق معهود خطابه، وذلك لأنه لو تم حمل خطابه – فيما هو معهود له فيه – على المعنى اللغوي المتعارف عليه بين الناس لكان تحريفاً له وتلاعباً به وتغييراً له عن حقيقته، كما هو الحال في الإصطلاحات الشرعية، وهذا ما يحاول أن يصل له أصحاب الأهواء والقراءة المعاصرة للقرآن الكريم وعلى رأسهم دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية من خلال دعوتهم إلى فهم النص بعيداً عن مراد قائله سبحانه وتعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً طريق أهل الأهواء في فهم النصوص وتفسيرها: "والألفاظ نوعان: نوع يوجد في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ونوع لا يوجد في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيعرف معنى الأول، ويجعل ذلك المعنى هو الأصل، ويعرف ما يعنيه الناس بالثاني، ويرد إلى الأول، هذا طريق أهل الهدى والسنة، وطريق أهل

---

(١) الشيخ العلامة الحافظ الفقيه المجتهد المفسر شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ولد عام ٦٦١هـ، وتوفي رحمه الله عام ٧٢٨هـ، كما في: السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص٥٢٠-٥٢١. وفي ترجمته كتاب حافل لتلميذه الإمام محمد بن أحمد عبد الهادي، المتوفى سنة ٧٤٤هـ، رحمهم الله جميعاً – سماه: **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، ج١٣، ص٢٥٥-٢٥٦.

الضلال والبدع بالعكس، يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل، ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لهم فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم، ويقولون: نحن نفسر القرآن بالعقل واللغة، يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم ورأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات والتفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه"[1]، فهذا هو الأصل الأول في فهم خطاب القرآن الكريم ويقدم على غيره من الأصول.

(١) **مجموع الفتاوى**، المرجع سابق، ١٧/٣٥٥.

المطلب الثاني

أصل معهود العرب في الخطاب

نزل القرآن الكريم باللغة العربية وذلك لأنها أفصح لغة وأوضحها وأشملها قال الطاهر ابن عاشور: "وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهراً لوحيه، ومستودعاً لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولاً لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها، منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشاراً، وأكثرها تحملاً للمعاني مع إيجاز لفظه"[1]، وهذا سبب تأكيد القرآن الكريم في عشرة مواضع مختلفة على عربية القرآن الكريم قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة يوسف: ٢)، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات، على أشرف الرسل – صلى الله عليه وسلم – بسفارة أشرف الملائكة – عليه السلام –، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه"[2]، وقد أكد ذلك تبارك وتعالى وحذر من مخالفته واتباع الهوى بعد أن أنزل القرآن الكريم باللغة الصريحة الواضحة فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (سورة الرعد: ٣٧)، قال السعدي – رحمه الله – في تفسير هذه: "أي: ولقد أنزلنا هذا القرآن والكتاب حكما، عربيا أي: محكما متقنا، بأوضح الألسنة وأفصح اللغات، لئلا يقع فيه شك واشتباه، وليوجب أن يتبع وحده، ولا يداهن فيه، ولا يتبع ما يضاده ويناقضه من أهواء الذين لا يعلمون. ولهذا توعد رسوله – مع أنه معصوم – ليمتن عليه بعصمته ولتكون أمته أسوته في الأحكام فقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ

---

(١) ابن عاشور محمد الطاهر **التحرير والتنوير** ، ص٣٩/١.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٣٦٥-٣٦٦.

ٱلْعِلْمِ﴾ البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقيك من الأمر المكروه"[1]. فلذلك لا يمكن فهم خطاب القرآن الكريم وإدراك معانيه إلا وفق معهود اللسان واللغة التي نزل بها فيما ليس للقرآن فيه معهود خاص "لقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب، جارياً على معهودهم في الكلام، وعادتهم في الخطاب، فكل من كان من لسان العرب متمكناً كان للقرآن أشد فهماً وأحسن إدراكاً، ولا يعلم أحد أفصح لساناً وأسد بياناً وأقوم خطاباً من أهل القرون الأولى المفضلة، وأولاهم في هذا الفضل والسبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يكون في الأمة من بعد القرون الأولى أحد أفصح منهم لساناً، ومن ثم فلا يقدر أحد أن يفهم القرآن من هذه الجهة – جهة كونه عربياً – أفضل ولا أحسن من أصحاب القرون الأولى، بل كل من جاء بعدهم فهو دونهم في الفصاحة والبيان، والفهم والإدراك"[2]، فمن حاول تأويل القرآن الكريم وفهمه وهو مفلس من علم اللغة، وهو كما يحدده الإمام الشاطبي رحمه الله بقوله: "لا أعني بذلك علم النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني كيف تصورت"[3]، فقد أخطأ وضل عن الفهم الصحيح للقرآن الكريم، كما يفعل أهل الأهواء من أصحاب القراءة المعاصرة ودعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يُعين على أن نفقه مراد الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله – صلى الله

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج١، ص٤١٩.

(٢) حسن، عثمان بن علي، **منهج الإستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، ج٢، ص٥٠٦.

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، ، ج٥، ص٥٢.

عليه وسلم – على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك ..."[1]، فيجب أن تُحمل معاني القرآن الكريم على المعاني التي كانت شائعة عند العرب وقت نزوله وليس على النادر والشاذ، أو الحادث متأخراً بعد عصر التنزيل، وأن يحمل كذلك على الأكثر فصاحة والأغلب بلاغة، لأنه أفصح كتاب وأبلغ كلام ونزل بأتقن لغة وأفصحها، فلا يعدل به عن تلك المكانة العالية إلى ما دونها.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله –: "إنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين – وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم – فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة. وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه. وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب ... وإذا كان كذلك فلا يستقيم للمتكلم في كتاب الله أو سنة رسول – الله صلى الله عليه وسلم – أن يتكلف فيهما فوق ما يسعه لسان العرب"[2]، ويحرم على الذي لا يعلم اللغة العربية وأساليبها أن يتكلم في كتاب الله، قا الإمام مجاهد – رحمه الله –: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[3]، فكل فهم لا ينطلق من هذا الأصل أي: مراعاة معهود العرب في الخطاب فهو باطل ومردود على صاحبه ويعد ضرباً من التخرص والتلاعب بكتاب الله تعالى، لأن الألفاظ قوالب المعاني، وإلغاء دلالاتها إبطال للغة التخاطب وفائدتها، كما يسعى لذلك أصحاب المنهجية التفكيكية في دعوتهم لفصل الدال عن المدلول وهذا عين الفساد والضلال، يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله –: "فمن أراد تفهم القرآن فمن جهة لسان العرب يفهم. ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[4]، وقال مؤكداً على فساد كل مفهوم لا يستند لمعهود العرب: "كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد به،

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج٧، ص١١٦.

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، ج٢، ص١٣٥.

(٣) الزركشي، محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١، ص٢٩٢.

(٤) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، ج٢، ص١٠٢.

ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل"[1]، وأكد ذلك الإمام ابن حزم – رحمه الله – وبين الخطر الذي ينتظر من يأتي بمفاهيم تخالف معهود العرب حيث قال: "ولا يحل لأحد أن يحيل آية عن ظاهرها، ولا خبراً عن ظاهره، لأن الله يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (سورة الشعراء: ١٩٥)، وقال تعالى ذاماً لقوم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (سورة المائدة: ١٣)، ومن أحال نصاً عن ظاهره في اللغة بغير برهان من آخر، أو إجماع، فقد ادعى أن النص لا بيان فيه، وقد حرف كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم عن موضعه، وهذا عظيم جداً مع أنه لو سلم من هذه الكبائر لكان مدعياً بلا دليل"[2].

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ص٣٦.

المطلب الثالث

أصل الفهم وفق دلالات عصر النزول

جاء القرآن الكريم ليخاطب الناس جميعاً منذ نزوله إلى قيام الساعة، لذلك كان خطابه واضحاً وصريحاً يفهمه من كان في زمن نزوله ومن يأتي بعدهم، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر: ١٧)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى –: "أي: سهلنا لفظه، ويسرنا معناه لمن أراده، ليتذكر الناس"[١]، ولا يمكن إدراك مراد الله وفهم الخطاب القرآني بعيداً عما كان مفهوماً أيام نزوله وفي معزل عن ذلك العصر، إن معرفة أسباب النزول وظروفها ومكان النزول، وفهم آيات القرآن وفقها أحد أهم أسباب الفهم الصحيح للخطاب القرآني وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات وطريق قوي من طرق إدراك مراد الله الكريم في كتابه الحكيم، ولذلك اهتم علماء التفسير بالتصنيف في المكي والمدني، وخصائص كل منهما، وأسباب النزول، كل ذلك للوصول إلى فهمٍ صحيح لكتاب الله ومعرفة الناسخ من المنسوخ ونحوها، كما قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[٢]، وقال ابن دقيق العيد – رحمه الله –: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[٣]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[٤]، فمعرفة سبب النزول ومشاهدة وقت التنزيل يعين كثيراً على فهم معنى الآي، لهذا أجمع العلماء على أن معرفة سبب نزول الآية يعين على فهم القرآن الكريم، ويدرك به المفسر المعنى الصحيح للآية، ومن دلالات عصر النزول أيضاً فهم الصحابة الكرام فقد شهدوا التنزيل وعلموا تأويله، وكانوا أعلم الناس بلغته التي نزل بها، ولذلك لا يوجد بينهم

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٤٧٨.

(٢) ينظر: الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ص٨.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل نعيم، ص٨٣.

(٤) المرجع السابق، ص٨٣.

خلاف جوهري يذكر فيما يتعلق بفهم القرآن الكريم، قال الدكتور غوستاف لوبون[1] في كتابه (السنن النفسية لتطور الأمم) ما معناه: إن الفنون لا تستحكم في أمة من الأمم إلا في ثلاثة أجيال: جيل التقليد وجيل الخضرمة، وجيل الاستقلال، وشذ العرب وحدهم فاستحكمت فيهم ملكة الفنون في جيل واحد.[2]، ولا عجب فذلك هو جيل القرآن الذي تلقاه مباشرة ففهمه ووعاه وطبقه عملياً، قال أبو الفتح القشيري – رحمه الله –: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا"[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – في رده على من يحمل ألفاظ القرآن الكريم على معان حادثة وبعيدة عن فهم الصحابة الكرام وقت نزوله: "الواجب أن تعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمون من الرسول صلى الله عليه وسلم عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – لا بما حدث بعد ذلك"[4]، وإن محاولة الفهم بعيداً عن دلالات عصر النزول توقع في الخطأ والضلال، وتسبب الفرقة والاختلاف في كتاب الله، ومن المهم هنا إيراد كلام الإمام الشاطبي – رحمه الله – في هذا الموضوع حيث يقول: "معرفة أسباب التنزيل لازمةٌ لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران: أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يُعرَف به إعجاز نظم القرآن، فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة

---

(١) غوستاف لوبون: هو طبيب ومؤرخ فرنسي، ولد عام١٨٤١م، وتوفي عام١٩٣١م، كان له عدة رحلات وبحوث اجتماعية خلال حياته في العالم الإسلامي، اعتقد بموجبها أن المسلمين هم من نقلوا الحضارة لأوروبا، وقد عبَّر بإنصاف عن آرائه بالمسلمين وحضارتهم في كتاباته، له مؤلفات عديدة، ترجم معظمها للعربية عادل زعيتر منها: كتاب (حضارة العرب)، وكتاب (روح الثورات والثورة الفرنسية)، وكتاب (روح الجماعات)، وكتاب (السنن النفسية لتطور الأمم)، وكتاب (اليهود في تاريخ الحضارات)، وغيرها. ينظر: **الموسوعة العربية الميسرة**: مجموعة من الباحثين والعلماء، ص٢٨٨٥-٢٨٨٦.

(٢) نقلاً عن الزرقاني، محمد عبدالعظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ص١٠. وينظر: كتاب **السنن النفسية لتطور الأمم**: غوتساف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، ص٥٨ وما بعدها.

(٣) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص٢٢.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج٧، ص١٠٦.

نفس الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك؛ كالاستفهام: لفظه واحدٌ ويدخله معانٍ أُخَر؛ من تقرير، وتوبيخ، وغير ذلك، وكالأمر: يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعُمدتها مُقتَضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة، فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيءٍ منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط؛ فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مُقتَضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثاني.

الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل مُوقِعٌ في الشُّبَه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع، ويوضح هذا المعنى ما روى أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟ فأرسل إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، إنا أُنزِل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأيٌ اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، فقال أعد علي ما قلت، فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه"[1] انتهى. وهذا ما يريد أن يصل له دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم في دعوتهم لفهم النص القرآني بعيداً عن الظروف الخارجية كفهم الصحابة الكرام، وأسباب النزول، وبذلك يحصلون على ما يريدون من حصول الاختلاف والتناقض الموهوم في كتاب الله، ولذلك يأتون بتفسيرات حادثة لم تكن معهودة في عصر النزول، ولا يعقل أن يخاطب الله العرب الذين شهدوا التنزيل بمصطلحات حادثة بعد عصرهم وبمفاهيم لا يدركونها، كما يحاول أصحاب المنهجية التفكيكية الإتيان بمعاني ومفاهيم ليس لها علاقة أو إرتباط بعصر النزول ولم تكن معروفة في

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي، **الموافقات**، ج٤، ص١٤٦.

ذلك الوقت، يقول الدكتور محمد حسن الذهبي منكراً على الذين يتوسعون في فهم ألفاظ القرآن الكريم بصورة يخرجونه عن كونه كتاب الله المعجز المعروف للناس كافة في عصر النزول وبعده: "هل يعقل بعد ذلك أن نتوسع هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن، وجعلها تدل على معان جدت باصطلاح حادث، ولم تعرف للعرب الذين نزل عليهم؟ وهل يعقل أن الله تعالى إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال، في الوقت الذي نزلت فيه هذه الألفاظ من عند الله، وتليت أول ما تليت على من كان حول النبي – صلى الله عليه وسلم؟ أعتقد أن هذا الأمر لا يعقله إلا من سفه نفسه، وأنكر عقله"[1].

(١) الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ج٢، ص٤٣٠.

المطلب الرابع

أصل اعتماد السياق والمعاني الكلية

ذم الله سبحانه وتعالى الذين يحرفون كلامه ويخرجونه عن معناه وتوعدهم في مواضع عدة منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ (سورة البقرة: ٧٩)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ (سورة المائدة: ١٣)، قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الأية: "أي: فسدت فهومهم ، وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، عياذا بالله من ذلك"[(١)]، ومن تحريف كلام الله والإلحاد به، إخراجه عن سياقه وعن المعنى المراد به، يؤكد ذلك قول الفاروق عمر بن لخطاب – رضي الله –: (ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بين فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه ثم تأوله على غير تأويله)[(٢)]، وهذا ما يفعله دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم، عندما يقتطعون جملة من القرآن الكريم فيفسرونها بمعزلٍ عن سياقها الذي وردت فيه، وعن المعاني الكلية للقرآن الكريم، كادعاء شحرور وأمثاله[(٣)]، بالمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٦٦.

(٢) الأثر في: ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ج٢، ص١٩٤.

(٣) يعتبر محمد شحرور أن ميراث الأنثى مسألة حدودية لا حدية، وأنها تخضع للظروف حسب مشاركة المرأة في أعباء الحياة إلى غيرها من الترهات في كتابه **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة**، ص٦٠٢. ومن أبرز من دعى لذلك وكان له نفس الأفكار الضالة محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد، وسناء بنت الطاهر ابن عاشور حيث صرحت في أكثر من موقف بضرورة المساواة بين الرجل والمرآة في الميراث من خلال مقابلات إعلامية معها بصفتها رئيس الجميعة التونسية للنساء الدمقراطيات، ومن خلال مقالات نشرتها في الصحف التونسية تؤكد فيها على ضرورة المساواة، وغيرهم من المعاصرين العلمانيين.

ويستدلون بأية يخرجونها عن سياقها، وعن المعاني الكلية للقرآن، ليصلوا إلى دس مفاهيمهم الخاطئة في القرآن، فيقولون: إن القرآن سوى بين المرأة والرجل في الميراث في قوله تعالى:﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (سورة النساء: ٧)، ويتناسون أن هذا النصيب المفروض قد وضحه القرآن نفسه في السورة نفسها في آيات الميراث، وإن هذا من أكبر أسباب وقوع الخطأ والافتراء على القرآن الكريم بنسبة إليه ما لم يقله، فكل كلمات القرآن الكريم وجمله مترابطة بعضها مع البعض كالبنيان الواحد، وكل منها له موضعه وفائدته الخاصة به، إن القرآن الكريم وحدة لا تتجزأ، وتعاليمه وأحكامه مترابطة متكاملة بين بعضها، وهي في ترابطها كأعضاء الجسم الواحد، فبعضها يؤثر في بعض، ولا يجوز أن يفصل جزء أو أكثر عن سائر الأجزاء، فالعقيدة مرتبطة بالعبادة، والعبادة مرتبطة بالأخلاق، وكلها ترتبط بالجانب العملي والتشريعي في الحياة، فتجد في القرآن الكريم في أوله وصف المؤمنين المهتدين بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة البقرة: ٣)، فقرن سبحانه وتعالى بين الجانب الاعتقادي وهو الإيمان بالغيب، وجانب العبادة وهو إقامة الصلاة، والجانب المالي وهو الإنفاق مما رزقهم الله، وهذا هو منهج القرآن الربط بين جوانب الحياة كلها برباط لا ينفك ولا يتجزأ، لأنه من عند الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (سورة المائدة: ٥٠)، فلا يمكن فهم القرآن بشكل صحيح دون معرفة معانيه الكلية وسياق كل جملة وكلمة منه، ولتقريب ذلك لو أخذنا لفظة: (خير) مثلا الواردة في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فقد وردت في كل موضع بمعنى مختلف عن غيره، فقد وردت في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٠)، وهي تعني ما يتركه المتوفى من مال ومتاع ونحوه[1]، ووردت في سورة القصص

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٤٩٤.

في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (سورة القصص: ٢٤)، بمعنى الطعام والشراب[١]، ووردت في سورة ص في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ (سورة ص: ٣٢)، بمعنى الخيل التي شُغل بها نبي الله سليمان – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – عن الصلاة[٢]، وفي سورة العاديات في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (سورة العاديات: ٨)، بمعنى المال[٣]، وهكذا تتعدد المعاني المرادة من اللفظة القرآنية الواحدة حسب السياق الذي ترد فيه، وعلى المفسر أن يسعى في معرفة السياق والمعاني الكلية للوصول إلى فهم صحيح، لأن إدراك الهدف من أي شيء سبيل يوصل إلى إدراك المراد منه.

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ج٦، ص٢٢٧.

(٢) **تفسير القرآن العظيم**، المرجع السابق، ج٧، ص٦٤.

(٣) **تفسير القرآن العظيم**، المرجع السابق، ج٨، ص٤٦٧.

المبحث الثالث

أسس بطلان المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني

لا يستند دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم إلى أسس علمية صحيحة، فهم ينفون المسلمات والضروريات، وكل ما جاؤوا به هو خارج عن الأصول والقواعد العلمية، ونظريتهم لا يمكن تطبيقها على القرآن الكريم فحسب بل لا يمكن تطبيقها على أي نص بشري، لأنها تؤدي إلى الفوضى والهلاك والعدمية، وهذا ما سيتضح من خلال مطالب ثلاثة وهي:

المطلب الأول: المنهجية التفكيكية تنفي الغيبيات مطلقاً.

المطلب الثاني: المنهجية التفكيكية خارجة عن الأصول العلمية والقواعد اللغوية.

المطلب الثالث: المنهجية التفكيكية تقليد أعمى.

المطلب الأول

المنهجية التفكيكية تنفي الغيبيات مطلقاً

كرم الله الإنسان ومنحه العقل وأثنى عليه بتصديقه بالغيب في مواضع عدة منها قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (سورة البقرة: ٥)، قال السعدي – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية: "حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل الكرام، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم. فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله صلى الله عليه وسلم. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله. ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها"[(١)]، فقد كرم الله الإنسان وميزه عن سائر المخلوقات بالعقل وأثنى سبحانه في كتابه الكريم في عدة مواضع على أولي الألباب، وحث على إعمال العقل بالنظر والاعتبار والتأمل، ونهى عن التقليد الأعمى وكل ما يضر بالعقل ويلغي وظيفته، فحرم سبحانه وتعالى كل مسكر يذهب بالعقل، ولكن رغم هذا التكريم للإنسان وعقله، فقد حدد له الشارع الحكيم حدوداً ومجالات لا يمكن تجاوزها، لأنها أكبر من قدراته

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ج١، ص٤٠-٤١.

وخارجة عن مداركه كالغيبيات، يقول الإمام السفاريني – رحمه الله – مبيناً حدود العقل: "إن الله خلق العقول وأعطاها قوة الفكر، وجعل لها حداً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة، لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي، فإذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها، ووفت النظر حقه أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلكت الأفكار على ما هو خارج عن طورها، ووراء حدها الذي حده الله لها، ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم، ولم ترتكن على أمر تطمئن إليه"(١)، وفي محاولة إقحام العقل بما هو ليس ضمن مداركه ظلم له لإدخاله في ما هو فوق طاقته، قال الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "إن المعلومات الغائبة التي لا تدرك إلا بالخبر أضعاف أضعاف المعلومات التي تدرك بالحس والعقل، بل لا نسبة بينهما بوجه من الوجوه، ولهذا كان إدراك السمع أعم وأشمل من إدراك البصر، فإنه يدرك الأمور المعدومة والموجودة والحاضرة والغائبة والعلوم التي لا تدرك بالحس ... والمقصود أن الأمور الغائبة عن الحس نسبة المحسوس إليها كقطرة في بحر، ولا سبيل إلى العلم بها إلا الخبر الصادق، وقد اصطفى الله من خلقه أنبياء أنبأهم من أنباء الغيب بما يشاء وأطلعهم منه على ما لم يطلع غيرهم"(٢)، ولذلك تخبط من حاول إقحام العقل فيما لا يدركه كدعاة القراءة المعاصرة للقرآن الكريم وعلى رأسهم المنهجية التفكيكية، قال سيد قطب – رحمه الله – عن دور العقل في معرفة الغيبيات: "أما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة ... فهي محاولة فاشلة أولاً، وعابثة أخيراً. فاشلة لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال، وعابثة لأنها تبدد طاقة العقل التي لم تخلق لمثل هذا المجال. وعلى العقل أن يتلقى العلم في أمور الغيب من العليم الخبير الذي يحيط بالظاهر والباطن والغيب والشهادة، وهذا الاحترام لمنطق العقل هو الذي يتحلى به المؤمنون"(٣)، ومع كل ذلك تجد أن دعاة المنهجية التفكيكية ينفون الغيبيات مطلقاً، ويحاولون إخضاع كل شيء للعقل، وذلك للطعن في القرآن الكريم ونفي معانيه ورسالته، لاسيما وأن القرآن الكريم

---

(١) السفاريني، محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، ج١، ص١٠٥.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ج٢، ص٥٦٨-٥٦٩.

(٣) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٠ بإختصار.

يعتمد في خطابه على الغيبيات بشكل أساسي، وتمثل الغيبيات فيه جزءاً كبيراً، ومن تلك الغيبيات القصص القرآنية، ولها مكانة كبيرة في تأكيد رسالة القرآن الكريم، وتعدل ثلث القرآن الكريم، ورغم ذلك تجد دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية ينفونها ويشككون فيها بحجة أنها أساطير ولا يصدقها العقل البشري الحديث، وتجدهم يتخبطون في نفي الغيبيات فتارة ينكرونها وتارة يحرفون معانيها، وهدفهم هو نفيها بأي وسيلة كما فعل أساتذتهم الغربيون مع الأساطير (الغيبيات) المكذوبة والمدسوسة في كتبهم المحرفة والتي تناقض العقل والفطرة السليمة، ومن تلك الأساطير في الكتب المحرفة ما ينسب لله جل جلاله من أمور لا تليق به كالتعب وأنه يصارع ويصرع ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ (سورة الإسراء: ٤٣)، بينما لا يوجد في القرآن الكريم شيء من تلك الأباطيل التي تعارض العقل بل إن كل ما في القرآن الكريم من غيبيات يتقبلها العقل والفطرة السليمة وليس فيها أي مبالغة أو انتقاص لجانب الربوبية، أو الحط من القيمة الإنسانية، وسأتناول قضية الغيبيات في القرآن الكريم إجمالاً وقضية القصص القرآنية بالتفصيل لأهميتها.

إن القرآن الكريم لم يذكر الأمور الغيبية ويسردها سرداً ويجبر الناس على التصديق بها واعتقادها، بل سلك طريقاً وأسلوباً مميزاً، وذلك حين عرض الأمور الغيبية استعان في تقريبها بالأمور الحسية لتستدل عليها النفوس البشرية السليمة والعقول المتجردة، كما وضح ذلك أستاذي الفاضل الدكتور يوسف الصديقي في عرضه لنظرية المعرفة وأسلوب القرآن في إثبات المعرفة[1]، فالنص القرآني كما ذكر الدكتور يوسف الصديقي قائم على ركيزتين أساسيتين،

أولا: التفاعل الدائم في مجرى الطبيعة.

ثانياً: ذهن الإنسان وفكره.

فنصوص القرآن الكريم قائمة على التفاعل بين ذهن الإنسان والأشياء الطبيعية، وتبدأ من الكليات والكون الواسع يقول تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ

(١) ينظر: الصديقي، يوسف محمود، **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، ص١٤٠ وما بعدها.

وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ (سورة النحل: ١٢)، ثم يضيق التفاعل إلى الجزئيات وإلى جسم الإنسان ذاته يقول جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُ ۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ (سورة غافر: ٦٧)، ويعتمد القرآن الكريم في حديثه عن الغيبيات على أربعة أسس:

أولاً: يبدأ القرآن الكريم من الأمور الحسية البسيطة ثم الأعلى إلى أن يصل إلى الأمور الغيبية، فمن خلال الإيمان والتصديق بالمحسوسات يصل إلى الإيمان والتصديق بالغيبيات.

ثانياً: يجعل القرآن الكريم الحواس مصدراً للوصول إلى الحقائق.

ثالثاً: يخاطب القرآن الكريم جميع العقول في دعوته للتأمل والتفكر.

رابعاً: يهدف القرآن الكريم الوصول إلى الإيمان بالله وبالغيبيات من خلال النظر العقلي بأسلوب علمي(١).

فالأمور الغيبية في القرآن الكريم ليست شيئاً من الخيال أو من الأمور المتعارضة مع العقل فالجنة والنار مثلاً من الأمور الغيبية ويمكن الاستدلال عليهما بالعقل، فالذي أوجد الإنسان من عدم ومكنه من اختيار طريق الخير أو الشر لابد أن يوجد داراً للجزاء ينال فيها المحسن ثوابه والمسيء عقابه، يقول الدكتور يوسف الصديقي: "انطلاقاً من الحقيقة الحسية الثابتة يقوم النص القرآني بإثبات الأمور الغيبية، وهو يخاطب العقل من مبدأ الحسيات، وينتهي إلى العقليات، وبالتالي تكون النتيجة يقينية، لأن الحسيات إذا كانت يقينية ثابتة فلا بد أن تكون الأمور الغيبية العقلية حقيقية، ويقيناً ثابتاً، لأن ما اعتمد على اليقين وانطلق

(١) باختصار وتصرف مني لكلام الدكتور يوسف الصديقي – حفظه الله – حول نظرية المعرفة في القرآن وإثبات الغيبيات. ينظر: الصديقي، يوسف محمود، **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، ص١٤٠ وما بعدها.

منه لا بد أن يكون يقيناً. ومن هنا اتخذ النص القرآني من الحقيقة الحسية حجة وبرهاناً لإثبات الأمور الغيبية من إثبات لوجود الله سبحانه وتعالى، والإيمان به، والمعاد، واليوم الأخر، والجنة، والنار، والثواب والعقاب، إلى غير ذلك من الأمور الغيبية"[1]. وعند ذكر الغيبيات في القرآن الكريم لم يأمرنا بالبحث عن تفاصيلها وإنما أمرنا أن نؤمن بها وفق حدود طاقة عقولنا قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ (سورة طه: ١١٠)، يقول الدكتور يوسف الصديقي: "إذن فمنهج البحث القرآني في المعرفة قائم على معرفة الخصائص دون الكنه والماهية، وأكد هذا المنهج من خلال المعرفة الإيمانية المتصلة بإثبات وجود الله سبحانه وتعالى التي هي أعلى أنواع المعرفة، وذلك عندما حث عقولنا وأحاسيسنا، ووجداننا على الإيمان به بعد إثبات وجوده من خلال آثاره وقدرته دون أن يطلب منا أن نقف على حقيقته وكنهه، واكتفى بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١)"[2]، فلا يمكن فهم الغيبيات بدون الاستعانة بأساليب وطرق الشرع الحكيم قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "العقل شرط في معرفة العلوم، وفي الأعمال وصلاحها، وبه يكمل الدين والعمل، ولكنه لا يستقل بذلك، إذ هو غريزة في النفس وقوة فيها كقوة البصر، إن اتصل به نور الإيمان والقرآن كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن إنفرد لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها، وإن أبعد بالكلية كانت الأقوال والأفعال أموراً حيوانية"[3]، وفي هذا رد على أصحاب المنهجية التفكيكية في نفيهم للغيبيات، ودعوتهم لإخضاع كل شيء للعقل بدون حدود أو ضوابط.

ومن الغيبيات التي ينفيها دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم ويشككون في صدقيتها كما تقدم القصص القرآني العظيم، والمراد بالقصص في القرآن

---

(١) الصديقي، يوسف محمود، **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، ص١٥٢-١٥٣.

(٢) **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي**، المرجع السابق، ص١٧٥-١٧٦.

(٣) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى شيخ الإسلام**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٣، ص٣٣٨-٣٣٩.

الكريم: هو ما حكاه القرآن الكريم عن أحوال الماضين، وإخباره عن الحوادث والكائنات الواقعة الماضية قبل نزوله على قلب رسولنا الآمين – صلى الله عليه وسلم. وقصص كلام رب البرية حقائق تاريخية، وهي هادفة لغايات شريفة علية، قال الإمام الغزالي[1]: "وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار فكن حريصاً على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه"[2]، والقصص في القرآن الكريم تعدل ثلث القرآن، ولها أهداف تؤكد وترسخ رسالة القرآن ومضامينه، أهمها التأكيد على توحيد الله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٥)، وتسلية وتثبيت النبي – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين ومواساتهم لما قد يعترضهم في طريق الدعوة إلى الله، ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (سورة هود: ١٢٠)، ومن أهداف القصص أيضاً الموعظة والاعتبار وبيان أن العاقبة للمتقين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (سورة يوسف: ١١٠-١١١)، قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية – رحمه الله – في توجيهه لحديث سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن: "إن معاني القرآن ثلاثة أنواع: توحيد، وقصص، وأحكام. وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده، وذلك لأن القرآن كلام الله. والكلام نوعان: إما إنشاء، وإما إخبار. والأخبار إما خبر عن الخالق، وإما إخبار عن المخلوق. فالإنشاء هو الأحكام كالأمر والنهي. والخبر عن المخلوق هو القصص. والخبر عن الخالق هو ذكر أسمائه وصفاته.

---

(١) حجة الإسلام الإمام الجليل، أبو حامد الغزالي محمد بن أحمد بن محمد الطوسي الشافعي، كما في **طبقات الشافعية الكبرى**: للإمام السبكي: ج٦، ص١٩١-٣٨٩، بلغت ترجمته مئتي صفحة.

(٢) الغزالي، ابي حامد، **إحياء علوم الدين**، ج٤، ص٣٣٣.

وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضاً إلا هذه السورة."[١]، وقرر ذلك الشيخ محمد بن علي الفاروقي[٢]، حيث قال: "إعلم أنه سبحانه وتعالى من عادته في هذا الكتاب أن يمزج فيه الأنواع الثلاثة بعضها ببعض، أعني علم التوحيد، وعلم الأحكام، وعلم القصص. والمقصود من ذكر القصص إما تقرير الدلائل للتوحيد، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف. وهذا الطريق هو الأحسن، لأن بقاء الإنسان في النوع الواحد يوجب الملال، فإذا انتقل من نوع إلى نوع فإنه ينشرح صدره ويفرح قلبه، فكأنه سافر من بلد إلى بلد، وانتقل من بستان إلى بستان، ومن تناول طعام لذيذ إلى أخر مثله، ولاشك أنه يكون أشهى"[٣]، وقد ضل بحقٍ دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم المفتونون بأساتذتهم الغربيين، والذين ليس لهم في صلتهم بالقرآن إلا عداوة الإسلام فاحترفوا أنواع التزوير للحقائق والبهتان، ومن ذلك نفيهم لوجود إسماعيل ولأبيه ابراهيم على نبينا وعليهما صلوات الله وسلامه حول بيت الله الحرام، ولا حقيقة لما ينسب إليهما من رفع البيت المشرف على القواعد والأركان، فشككوا في الحقائق الماضية الحقيقية طعناً في الأيات القرآنية، وتولى كبر ذلك التشكيك في القصص القرآنية مستشرقان انجليزيان وهما (جرجيس صال) وتُرجم كتابه سنة ١٨٩١م، تحت عنوان (مقالة في الإسلام)[٤]، ثم أعاد نشر ترهاته بعده (مرجيليون) فنشره في سنة ١٩٢٥م، ثم جاء المقلد لهم الضال فنشر تلك الترهات ناسباً لها إلى نفسه في أبحاثه الجاهلية[٥]، وقد استوفى الرد على تلك الافتراءات الأستاذ محمد الغمراوي في كتابه (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي)، كما رد عليه الدكتور محمد البهي في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي)، والأستاذ محمد أحمد

---

(١) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **جواب أهل العلم والإيمان، بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن**، ص١٣٢.

(٢) ترجمة: محمد بن علي بن محمد الفاروقي الحنفي التهانوي الهندي، المتوفى بعد سنة ١١٥٨هـ، كما في: البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ص٣٢٦.

(٣) التهانوي، محمد علي الفاروقي، **سبق الغايات في نسق الآيات**.

(٤) سال، جرجيس الإنجليزي، **مقالة في الإسلام**، ترجمة: هاشم العربي.

(٥) حسين، طه، كتاب **في الشعر الجاهلي**. وكتاب **في الأدب الجاهلي**.

في كتابه (طه حسين والنظر الاستشراقي)، كما زعموا أن القصص في القرآن الكريم صناعة أدبية فنية لا يشترط مطابقتها للحقائق الواقعية، لأن مبنى القصص وقوامها على التمثيل والخيال من غير موافقة لحقيقة الحال، وقد تبنى ذلك البهتان الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه (الفن القصصي في القرآن الكريم) حيث قسم في الفصل الأول من الباب الثاني القصة القرآنية إلى أربعة أقسام: التاريخية، والتمثيلية، والأسطورية، والخطيئة[1]، والقصص القرآنية ليس حديثًا يُفترى أو فنونًا تزدرى، وإنما هي عرضٌ لوقائع حقيقية موصلةٍ إلى غاياتٍ عظمَى، يمكن إدراكها بالتفكر والتأمل والعظة، كما قال تعالى ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٦)، ومن هنا يتبين سبب رفض وتشكيك دعاة القراءة المعاصرة والمنهجية التفكيكية للقصص القرآني، ومدى بطلان قولهم.

(١) ينظر: خلف الله، محمد أحمد، **الفن القصصي في القرآن الكريم**، ص ١١٥-١٨٤.

المطلب الثاني

المنهجية التفكيكية خارجة عن الأصول العلمية والقواعد اللغوية

من أهم ما يترتب على الزيغ عن الطريق المستقيم التخبط في طرق الضلال والتقلب في الأخطاء والضياع في عالم من الحيرة والعشوائية، وهذا ما حصل لدعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم فهم لا يحتكمون للنصوص الظاهرة ولا يخضعون لضوابط علمية وليس لهم قانون أو مبدأ يسيرون عليه في كل النصوص قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ولهذا لما لم يكن لهم قانون قويم وصراط مستقيم في النصوص، لم يوجد أحد منهم يمكنه التفريق بين النصوص التي تحتاج إلى تأويل والتي لا تحتاج إليه، إلا بما يرجع إلى نفس المتأول المستمع للخطاب، لا بما يرجع إلى نفس المتكلم بالخطاب"[(١)]، وقال ايضاً موضحاً طريق أهل الضلال والأهواء: "فالذين أخطأوا في الدليل والمدلول – مثل طوائف من أهل البدع – اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه أمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم: تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه"[(٢)]، فتراهم ينتقدون العلماء السابقين وينسفون جهودهم، ويؤولون القرآن الكريم وفق أهوائهم المتعددة ومشاربهم المختلفة فلا يصلون لنتيجة غير الضياع والاختلاف، وقد رد على أمثالهم الأستاذ مصطفى الطير فقال: "بقدر ما أحسن أولئك العلماء السابقون إلى الإسلام الحق وإلى العقل في القرآن، أساء مفسرون آخرون أو مقترحون لألوان معينة من التفسير، قد دفعهم إلى هذه الإساءة رغبة في الشهرة العلمية أو حب للتجديد عن غير طريقها المستقيم، فقد جعل هؤلاء سبيلهم إلى ما يشتهون تجريح السابقين من المفسرين ورميهم بالسفه والغفلة، أو التقصير، وزعموا أنهم آتون بما لم يأت به الأوائل، أو مفكرون خيراً مما فكروا، وطلع بعضهم على الناس بتفسير لآي القرآن لا يعرف طريق القرآن، ولا ينتسب إلى القواعد العربية، ولا يتجاوب مع السنة المحمدية، ولا يتقيد فيه بسياق ولا

(١) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج٥، ص٢٤٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق: محمود محمد نصار، ص٨٥.

لحاق... أحسب هؤلاء أن القرآن قصة يتخيل عناصرها الكاتبون، أو كتاب يؤلفه ويبتكر فيه المؤلفون المبتكرون؟ ألم يعلموا أنه كتاب الله العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؟ فلا يسوغ فيه الأخذ بالرأي الفاسد، ولا يصح فيه النزوع إلى الخيالات والأهواء، ولا يمارس تفسيره إلا الدارسون المتخصصون..."[1].

ومن تخبطاتهم تلك نفيهم وتشكيكهم في أعظم علم تميزت واختصت به أمة الإسلام، وهذا العلم هو علم الإسناد خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم منه.

لقد تميزت الأمة الإسلامية واختصت بميزة لم توجد في أي أمة من الأمم، وهذه الميزة والخاصية هي الإسناد، للوحيين القرآن الكريم وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولا ينكر هذه الخاصية إلا جاهل مكابر خاصةً فيما يتعلق بالقرآن الكريم، فالقرآن الكريم نزل به أمين السماء جبريل – عليه السلام –، من رب العالمين، إلى أمين الأرض ورسول العالمين محمد – عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين –، وتلقاه منه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ونقلوه لمن بعدهم جيلاً بعد جيل، وسيستمر على ذلك الحال إلى قيام الساعة، لا يضيع منه حرف أو حركة، ومن أساليب المفتونين بالمناهج الغربية كالتفكيكية التشكيك في جمع القرآن الكريم، وهذا طعن بالأمة كلها وإلغاء لما تميزت به من دون الأمم كلها ألا وهو الإسناد، نفي للحقيقة الثابتة ثبوت الشمس، ولا بد من توضيح قضية جمع القرآن الكريم التي يشكك فيها دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم ليدسوا فيه سمومهم.

يراد بجمع القرآن الحكيم جمعه حفظاً في الصدور وجمعه كتابةً في السطور. أما جمعه في الصدور فقد وجد مرتباً منذ نزول القرآن الكريم على قلب نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم ولن يزال إلى يوم الدين فلا يحصى عدد حفاظ كلام ربنا الرحمن في أي زمان.

أما جمعه كتابة فقد كان في ثلاث مراحل.

---

(١) الطير، مصطفى محمد الحديدي، **اتجاهات التفسير في العصر الحديث من الإمام محمد عبده حتى مشروع التفسير الوسيط**، ضمن بحوث قرآنية، مجمع البحوث الإسلامية، ص٢٢٠-٢٢١.

المرحلة الأولى: في عهد نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم فكان كلما نزل منه شيء كتبه كُتاب الوحي بأمر من النبي وفي حضرته صلى الله عليه وسلم، لكن لم يكن مرتب الآيات ولا السور في المصحف لثلاثة أمور:

أولها: نزول القرآن الكريم تم في ثلاث وعشرين سنة على غير الترتيب الذي هو عليه، فيلزم تغييره كلما نزلت آيات منه وفي ذلك من الكلفة ما فيه مع صعوبة وسائل الكتابة فيما سبق.

ثانيها: احتمال وقوع النسخ فيه مانع من ترتيبه.

ثالثها: لا يُعلم اكتمال القرآن الكريم إلا بموت النبي عليه الصلاة والسلام. ولذلك كان مكتوباً في صحف ولم يكن مرتباً في مصحف بخلاف الحفظ فهو مرتب كما هو بين أيدينا.

المرحلة الثانية: جمعه مرتب الآيات في السور، والسور في المصحف، بحيث تحول من صحف إلى مصحف وكان ذلك سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق بإجماع الصحابة الكرام – رضي الله – عنهم وكان السبب في ذلك استشهاد سبعين قارئاً في قتال المرتدين في موقعة اليمامة فخشي عمر الفاروق – رضي الله عنه – أن يستحر القتل في القراء في مواقع الجهاد الأخرى فيضيع شيء من القرآن الكريم، لأنه لا بد عند جمعه في مصحف من أمرين:

أ- صحف مكتوبة موثقة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- حفاظ يحفظون ذلك المكتوب في صدورهم.

فتم جمع كلام الله عز وجل عن طريق السطر والصدر وذلك أوثق ما يكون في الضبط، ويكون كلام العزيز الغفور موثقاً جمعه بالصدور والسطور والإجماع القطعي المبرور، فشرح الله صدر الخليفة الراشد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – فندب لهذه المهمة زيد

ابن ثابت كاتب الوحي الأمين فقام بالأمر خير قيام مع معونة الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمين.

المرحلة الثالثة: في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان رضي الله عنه وكان ذلك بالتحديد سنة خمس وعشرين لسببين معتبرين:

السبب الأول: اجتمع الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان ومعهم أهل العراق وأهل الشام في غزاة أرمينة وأذربيجان فسمع بعضهم من بعض القرآن كما نزل بالأحرف السبعة على نبينا عليه الصلاة والسلام فاختلفوا فيما بينهم وخطأ بعضُهم بعضَهم، فبلَّغ ذلك حذيفةُ بنُ اليمان الخليفةَ الراشد عثمان – رضي الله عنهم – وقال له: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى[1].

السبب الثاني: وجد ذلك الاختلاف أيضاً في المدينة المنورة كما هو ثابت بسند صحيح عن سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: «قال عثمان: ما تقولون في هذه القراءة التي اختلف الناس فيها؟ يلقى الرجل الرجل فيقول: قراءتي خيرٌ من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك، وهذا شبيه بالكفر، فقلنا: ما الرأي يا أمير المؤمنين؟ قال: فإني أرى أن أجمع الناس على مصحف واحد، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشدَّ اختلافاً، فقلنا: نعم ما رأيت»[2].

فكلف الخليفة الراشد عثمان – رضي الله – عنه زيد بن ثابث – رضي الله عنه – وهو كاتب الوحي في الجمع الأول والثاني مع غيره بإشرافه وإشراف الصحابة الكرام – رضي الله عنهم جميعاً – فقام بالمهمة خير قيام، فنسخوا سبعة مصاحف من المصحف الذي جمع في المرحلة الثانية، واحتفظوا بمصحفين منها في المدينة المنورة وأرسلوا الخمسة الباقية إلى كلٍ من مكة المكرمة والشام وحمص والكوفة والبصرة لتكون مرجعاً لهم حاسمةً للخلاف بينهم، فكل قراءة صحيحة منقولة وافقت الرسم واللغة العربية فهي قرآن ثابت من

---

(١) كما في صحيح البخاري وغيره، **جامع الأصول**، ج٢، ص٥٠١-٥٠٦ رقم: ٩٧٤، ٩٧٥.

(٢) البغوي، الحسين بن مسعود، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤط، محمد زهير الشاويش، ج٤ن ص٥٢٤.

الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ورسم المصحف الشريف يحتمل القراءات العشرة المتواترة التي هي مجموع الأحرف السبعة المتواترة إلا في كلمات يسيرة في الزيادة والنقصان[١]، أو الإبدال[٢]، فكتبت في بعض المصاحف بصورة وفي بعضها بصورة أخرى إثباتاً للكل في الكل، فالمصاحف السبعة تحتوي الأحرف السبعة وهي مجموع القراءات العشرة المتواترة فرشاً وأصولاً[٣] حال اجتماع القراء واختلافهم.

هذا الذي اعتمده المحققون في الجمع الثالث كأبي الفضل الرازي[٤]، والإمام ابن الجزري[٥]، وأما ما قيل إن الخليفة الراشد الثالث اقتصر على حرف واحد وأسقط الستة الباقية فمردود لعدة أمور أبرزها:

أولها: أن الأحرف السبعة رحمة من الله الكريم لهذه الأمة وتوسعة عليها فهل يليق بنا الاستغناء عن رحمة الله والإعراض عن كرامته.

ثانيها: هي أيضاً وجه عظيم من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) كما هو الحال في إثبات ﴿من﴾ في المصحف المكي فقط في آية (١٠٠) من سورة التوبة (براءة) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ وهي قراءة الإمام ابن كثير رحمه الله، كما في **تقريب النشر**، ص١٢١.

(٢) كما في أخر سورة الشمس ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ بالفاء بدل الواو، فرسمت في المصحف المدني والشامي بالفاء، وبها قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) والشامي (ابن عامر) رضي الله عنهم جميعاً.

(٣) يراد بالفرش الجزئيات التي يقع الخلاف في قراءتها، ولا يقاس عليها كقراءة (يخدعون) في سورة البقرة: ٩، لا يقاس عليها ما في سورة النساء: (يخادعون) ١٤٢، مع أن الخلاف وقع في الأولى حيث قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال كما في **تقريب النشر**: ص٩٠.

وأما الأصول فهي الكليات التي تندرج تحتها الجزئيات كقواعد المد والهمز والإمالة كما في **مناهل العرفان في علوم القرآن** ج١، ص٤٤٢.

(٤) الإمام أبو الفضل الرازي، عبد الرحمن بن أحمد، أحد الأعلام وشيخ الإسلام، توفى سنة ٤٥٤هـ – رحمه الله – كما في: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **معرفة القراء الكبار**، ج٢، ص٧٩٥-٧٩٨.

(٥) الإمام الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الشافعي المعروف بابن الجزري، مقرىء الممالك الإسلامية، توفى سنة ٨٨٣هـ – رحمه الله – كما في ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ص٢٠٤-٢٠٦.

ثالثها: الخلاف بين القراءات المتواترة هو عين ما وقع من الاختلاف في القراءة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخليفة الراشد الثالث رضي الله عنه.

رابعها: وجود الاختلاف في الرسم بين المصاحف العثمانية وذلك دليل قطعي على عدم الاقتصار على حرف واحد فيها. والعلم عند الله جل وعلا.

والخلاصة أنه تم جمع القرآن الكريم كتابة ورسماً من أول نزوله وإلى الجمع الأخير في ثلاث مراحل:

أ- في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - في صحف غير مرتبة ليتم ضبطه صدراً وسطراً.

ب- جمع في مصحف مرتب الآيات والسور بأوثق طرق الضبط في عهد الخليفة الراشد الأول - رضي الله عنه - خشية ضياع شيء منه.

ت- جمع في عهد الخليفة الراشد الثالث - رضي الله عنه - في سبع مصاحف بصورة تحتمل القراءات المتواترة ووزعت على أمصار المسلمين لئلا يقع اختلاف في قراءة كلام رب العالمين [1].

(١) يراجع الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم في **جامع الأصول**: ج٢، ص٥٠١-٥٠٧، الكتاب الثالث في ترتيب القرآن وجمعه - وكتاب **المصاحف** للإمام ابن أبي داود: ج١، ص١٦٥-٢٢٢.

المطلب الثالث

المنهجية التفكيكية تقليد أعمى

لقد ذم الله سبحانه وتعالى التقليد الأعمى وحذر منه حيث قام دين الإسلام على تكريم الإنسان، ودعاه ليستعمل عقله في الخير، لا أن ينقاد ويسلم عقله لغيره من العباد، ولكن ما فعله دعاة تطبيق المنهجية التفكيكية على القرآن الكريم هو التقليد الأعمى الذي ينحط بالإنسان إلى مستوى البهيمة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٧٩)، فهم لهم أسماع وأبصار وعقول ولكنها معطلة لا يستفيدون منها، بل ينتقدون من سبقهم بالعلم والفضل بمراحل، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالف من الآثار بالتأويل، ولو كان مستكرهاً، ثم لم يكتفوا بذلك، حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف"[1] وهذا ما حصل في العصور المتأخرة حين إنساق البعض تجاه تيارات الفلسفة الغربية بحجة التجديد والتطوير فجاؤا بكوارث لم تخطر ببال العاقلين قال الشيخ أحمد شاكر – رحمه الله تعالى –: "أما في عصرنا فقد نابت نوائب، ونبتت نوابت، ممن استُعبدوا لأراء المبشرين وأهوائهم، وممن جهلوا لغة العرب إلا كلام العامة وأشباههم، وجهلوا السنة، بل كانوا من أعدائها، وممن سخروا من علم علماء الإسلام، وسفَّهت أحلامهم، ومردت ألسنتهم على قَولَة السوء في سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، بل لا يؤمنون بالغيب إلا قليلاً. هؤلاء وأشباههم وأمثالهم اجترؤوا على العبث بالقرآن، واللعب بالسنة، فعرضوا لتفسير القرآن

---

(١) العسقلاني، ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج١٣، ص٢٦٧.

وزعموا لأنفسهم الاجتهاد الجاهل، يفتون الناس ويعلمونهم اللعب والعبث، وينزعون من قلوبهم الإيمان. لا أقول إن هؤلاء وأولئك يفسرون القرآن بأهوائهم، فإنهم أضعف من أن تكون لهم أهواء وأشد جهلاً، بل بأهواء سادتهم ومعلميهم من المبشرين والمستعمرين أعداء الإسلام..."[1] وكل ما جاؤا به وحاولوا فعله هو لأجل مسايرة الغرب في نقضهم لكل ما هو مقدس بدون ضوابط علمية، أو مبررات عقلية مقبولة، قال الأستاذ محمد الصادق العرجون: "والذين حاولوا منا أن يتحرروا لم يكن لهم من سلاح العلم الصحيح والعقل الرجيح، والاعتصام بأصول الإسلام ما يعصمهم عن الوقوع في مزالق التقليد الأهوج لقوم هم أبعد ما يكونون عن الإسلام ومفاهيم هدايته، وهؤلاء بتعبير أصح تحللوا ولم يتحرروا جرياً وراء بريق الشهرة الزائفة وغرور التجديد، وحمّلوا القرآن في تفسيره ما لا تحتمله آياته من أقوال ومذاهب ونظريات هي أقرب إلى التعسف والتحريف منها إلى التفسير والتحرير، فخصصوا العام، وأطلقوا المقيد، وقيدوا المطلق، ونسخوا المحكم، وأحالوا الظواهر، وجعلوا ما للآخرة منه للدنيا وما للدنيا للآخرة"[2]، وهذا واضح بين فما دعاة تطبيق المناهج الغربية على القرآن الكريم والثقافة الإسلامية إلا أعداء، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب كيداً للإسلام وأهله، كشف الفيلسوف الفرنسي (جان بول سارتر)[3] عن كيفية صناعة أمثال هؤلاء وبثهم في صفوف المسلمين، وعن حقيقتهم الوضيعة في مقدمة كتابه (المنبوذون في الأرض) فقال: "كنا نُحضِر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويرتدون السترات والسراويل، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الراوح والغدو، والاستقبال والاستدبار، ويتعلمون لغتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجة أوروبية ... كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في (أَوْرَبة) بلادهم، وأي بلاد؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، لم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة لها نجساً وخناً، كنا أعداء يخافون منا، وكأنهم

(١) شاكر، أحمد محمد، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، هامش ج١، ص٤٦.

(٢) عرجون، محمد الصادق، **نحو منهج لتفسير القرآن**، ص١٨-١٩.

(٣) سبق ذكر ترجمته.

همج لم يعرفوا بشراً، لكن بمجرد أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم، إلى بلادهم، كنا بمجرد أن نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس، قائلين (الإخاء البشري) نرى أن رجع أصواتنا يرتد من أقاصي أفريقيا أو فج من الشرق الأوسط أو الأدنى أو الأقصى أو شمال أفريقيا.ثم إننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم، ليس هذا فحسب، بل إنهم سلبوا حق الكلام من مواطنيهم، هذا هو دور المفكر الذي يتشكل بالشكل الأوربي، ويلعبه في الدول الإسلامية، دور دليل الطريق للاستعمار في البلاد التي لم يكن يعرفها أو يعرف لغاتها، وهو السوس الذي عمل في الشرق من أجل تثبيت هذه المادة الثقافية والاقتصادية والأخلاقية والفلسفية والفكرية المسممة للاستعمار الغربي، داخل هذه الأشجار الوارفة الأصيلة، هذا السوس الذي كنا صنعناه وسميناه بالمفكرين، كانوا عالمين بلغتنا، وكان قصارى همهم ومنتهى أملهم أن يصبحوا مثلنا، في حين أنهم أشباهنا وليسوا مثلنا، إنهم نخروا من الداخل ثقافة أهليهم وأديانهم القومية التي تصنع الحضارات، ومثلهم وأحاسيسهم وأفكارهم الجميلة، وأصالتهم الأخلاقية والإنسانية، وتحت أي شعار وبأي اسم؟ باسم مقاومة الخرافات أو مكافحة الرجعية، أو الوقوف ضد السلفية"[1]، ولذلك تجدهم يعلنوها صراحة بعد أن ينالوا من أقدس المقدسات لدى المسلمين، ألا وهي: كتاب الله الجليل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الكتاب المعجز المبهر، الذي شهد أعداءه العقلاء بمكانته قديماً وحديثاً ولكن هؤلاء أصابهم العمى، فنادوا بتقليد الغرب والثورة على الثقافة الإسلامية بكل ما تمثله، فتجد المسمى بعميد الأدب العربي طه حسين يقول بشكل واضح وصريح أن السبيل للتطور هو: "ولكن السبيل إلى ذلك واحدة، وهي أن نسير سير الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يعاب"[2]، وقد

(١) نقلاً عن كتاب: سلطان، جمال، **دفاع عن ثقافتنا**، ص٤٣-٤٤.

(٢) حسين، طه، **مستقبل الثقافة في مصر**، ص٤٤.

سبقه إلى ذلك آغا أحمد الذي يقول في كتابه: "إنا عزمنا أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في أمعائهم"[1].

ومن أبرز ما يقوم عليه فكر دعاة المنهجية التفكيكية المنحرف هو محاولة تشبيه القرآن الكريم بالكتب السابقة (التوراة والأنجيل) لتذهب قدسيتها عند المسلمين، وليطبقوا عليها ويصنعوا بها ما صنعه أصحاب الكتب السابقة بكتبهم، فما هم إلا مقلدين وأعداء للدين القويم الذي به تسقيم أمور الدنيا والدين، وهذا التشبيه بين القرآن الكريم وبين الكتب السابقة لا يصح وفيه ومغالطات وذلك لأمرين معتبرين وهما:

أولاً: أنها كتب محرفة، وهذا واقع يقر به أصحاب تلك الكتب قبل غيرهم، وفيها ما يخالف العقل والفطرة البشرية، وقد شهد القرآن الكريم على تحريفها بآيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٧٥)، وقوله جل جلاله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة المائد: ١٣)، ولم يتعهد الله بحفظها، بل أوكل حفظها لأهلها وقد أضاعوها، قال تعالى عن التوراة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (سورة المائد: ٤٤)، وقال سبحانه عن الإنجيل: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا

(١) صبري، **مصطفى، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، ج١، ص٣٦٩.

بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ (سورة المائدة: ١٤)، بينما تعهد الله العظيم بذاته المقدسة حفظ القرآن الكريم فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩)، وقال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج: ٢٢).

ثانياً: أنها كتب مخصوصة، فقد نزلت الكتب السابقة لأقوام مخصوصين، وفي أزمنة محددة، وكانت تنتهي كل شريعة بالتي تأتي بعدها ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف: ٩)، أما القرآن الكريم فهو آخر الكتب الإلهية، وناسخاً لها، وجاء للبشرية كلها إلى قيام الساعة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ سورة المائدة: ٤٨). فلا مجال للمقارنة وقياس القرآن الكريم على الكتب السابقة المحرفة المخالفة للعقل والفطرة السوية، إلا عند من اختلت عنده الموازين، وكان كل همه التقليد الذميم.

خاتمة البحث

حوى هذا البحث موضوع المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني، وقد بذلت قصارى جهدي في استجلاء كافة جوانب هذا الموضوع، وتبسيطه للقارىء، واختم هنا بأهم ما توصلت إليه من نتائج، لتكون ميسرة وسهلة المنال لمن أرد الإطلاع عليها.

- أولاً: القرآن الكريم إلهي المصدر، وباللغة العربية الخالدة، ولا يخضع للنظريات الفلسفية الحديثة، ويجب تقديسه والتعامل معه باحترام، ويحرم القول فيه بغير علم كما قال عليه الصلاة والسلام «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[1].
- ثانياً: لفهم أي كلام وخصوصاً كلام الله تعالى لا بد أن يكون وفق ضوابط الحقائق الثلاثة وتفاصيلها التي من خلالها يفهم الكلام، وهي الحقيقة الوضعية اللغوية، والحقيقة الدينية الشرعية والحقيقة العرفية الاصطلاحية. وأي فهم لا يراعي هذه الضوابط والحقائق فهو خاطئ أياً كان مصدره أو قائله.
- ثالثاً: التزم سلفنا الكرام، منذ عهد الصحابة الكرام ومن جاء بعدهم من التابعين، وأئمة التفسير، بطرق التفسير الصحيحة المبنية على حقائق فهم الكلام، ولذلك كانت تفاسيرهم نوراً لمن جاء بعدهم، وليس فيها أي انتقاص أو تلاعب بمضامين الخطاب القرآني كما حصل عند المتأخرين.
- رابعاً: لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، لأنهما أمر الله وخلقه، ولكل منهما دور مكمل للأخر، وبهما يصل الإنسان للحقيقة والسعادة، وخلاف هذا كما هو حال التفكيكية سبب الجهل والضلال.
- خامساً: المنهجية التفكيكية وغيرها من الفلسفات، هي إحدى نتائج الانحطاط الفكري والثقافي الذي كانت تعيشه أوروبا بسبب الصراع بين الدين المحرف والعلم الحديث.

---

(١) أخرجه **الترمذي** في السنن، باب الذي يفسر القرآن برأيه، ج٥، ص١٩٩، رقم (٢٩٥١)، وقال: هذا حديث حسن.

- سادساً: التفكيكية لا يقول بها عاقل، فهي مجرد هراء ونفي للحقائق، ولا يمكن تطبيقها في الحياة تطبيقاً واقعياً حقيقياً، لأن القول بها يفضي إلى العدمية والفوضى وإلغاء كل حقيقة.
- سابعاً: لا يدعو لتطبيق الفلسفات والمناهج الغربية في العالم الإسلامي على القرآن الكريم إلا فاقد لهويته الدينة ومقلد لأعدائه، أو حاقد على الإسلام وتعاليمه يتمنى القضاء عليه.
- ثامناً: الخطاب القرآني ليس كأي نص آخر، وله خصائص كثيرة تميزه عن غيره، ويجب مراعاة تلك الخصائص في أي محاولة لفهمه.
- تاسعاً: وضع العلماء أربعة أصول لفهم الخطاب القرآني، لا يمكن التوصل لفهم صحيح إلى من خلالها، وهي: أصل معهود القرآن في الخطاب، وأصل معهود العرب في الخطاب، والفهم وفق دلالات عصر النزول، واعتماد السياق والمعاني الكلية.
- عاشراً: تتعارض التفكيكية في أساسها مع أسس القرآن الكريم، فهي تنفي الغيبيات مطلقاً وبذلك تعارض القرآن الكريم فلا يمكن التعويل عليها إلا بتحريف القرآن الكريم.
- الحادي عشر: القرآن الكريم كلام رب العالمين، يوافق العقول السليمة، ومنه تؤخذ القواعد اللغوية، ويطابق القواعد العلمية، وأما التفكيكية تنافي العقول السليمة، ولا تتقيد بالضوابط العلمية، ولا القواعد اللغوية، التي هي محل اجماع العقلاء من البشرية، فلا مجال لتطبيق السراب على الحقيقة.

مما لا يخفى أن هذه المناهج الغربية تتسلل لنا وهي تحمل في طياتها مضامين أيدلوجية تهدف إلى القضاء على الدين والحضارة الإسلامية، لذلك أوصي طلاب العلم المتخصصين في هذا الشأن دراسة مثل هذه الفلسفات بتعمق واستفاضة لتبيين ضررها من جميع الجوانب، وأهدافها الحقيقية.

وأخيراً فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال، ولكن عذري أني بذلت فيه جهدي فإن أصبت فمن الله وذاك مرادي، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأكون قد نلت شرف المحاوله والتعلم، ولا أزيد على ما قاله القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني: "رأيت أنه لايكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر"[1] آمل أن ينال القبول ويلقى الاستحسان.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

والحمد لله رب العالمين.

(١) حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والعلوم**، ج١، ص١٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، **جامع الأصول في أحاديث الرسول** - صلى الله عليه وسلم - (دمشق: مطبعة الملاح، ب.ط، ١٩٦٩م).

٢. أديب، علي، **مقالة بعنوان: تجديد الخطاب الديني أم تجديد الإسلام؟**، موقع رصيف٢٢، نشر بتاريخ ٢٠١٥/١٢/١٢م.

٣. أركون، محمد، **الأنسنة والإسلام**، ترجمة: محمود غريب (بيروت: دار الطليعة، ط١، ٢٠١٠م).

٤. أركون، محمد، **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ط٢، ١٩٩٦م).

٥. أركون، محمد، **الفكر الإسلامي، قراءة علمية**، ترجمة: هاشم صالح (بيروت: مركز الإنماء القومي، ط٢، ١٩٩٦م).

٦. أركون، محمد، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ اخر للفكر الإسلامي**، ترجمة: هاشم صالح، (بيروت: دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م).

٧. أركون، محمد، **قضايا في نقد العقل الديني** (بيروت: دار الطليعة، ط٤، ٢٠٠٩م).

٨. أركون، محمد، **العلمنة والدين، الإسلام، المسيحية، الغرب** (بيروت: دار الساقي، ط٣، ١٩٩٦م).

٩. الأسدي سامر فاضل، **البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل**، (الأردن: الدار المنهجية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م).

١٠. إسماعيل، فاطمة زهرة، **القراء التفكيكية**، مجلة عود الند (العدد ٧٩، ٢٠١٣م).

١١. الألوسي، حمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت).

١٢. بارت، رولان، **نقد وحقيقة**، ترجمة: منذر عياشي (سوريا: مركز الإنماء الحضاري، ط١، ١٩٩٤م).

١٣. باث، رولان، **درس في السيمولوجيا**، ترجمة: عبد السلام بن عبد العالي (المغرب: دار توبقال، ب.ط، ١٩٨٦م).

١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير** (الهند: مطبعة حيدر أباد، ب.ط، ١٣٦١هـ).

١٥. الباقلاني، أبو بكر ابن الطيب، **الإنتصار**، تحقيق: محمد عاصم القضاة (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١م).

١٦. بخش، خادم حسين إلهي، **القرآنيون وشبهاتهم حول السنة** (الطائف: مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٠م).

١٧. البستي، محمد بن حبان، **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، تحقيق: محمد محي الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، ١٣٩٧هـ).

١٨. البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** (بيروت، مكتبة المثنى، ب.ط، ١٩٥٥م).

١٩. البغوي، الحسين بن مسعود، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٧١م).

٢٠. البهي، محمد، **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي** (القاهرة، مكتبة وهبة، ط٤، ١٩٩٣م).

٢١. تاوريت، بشير، سامية، راجح، **فلسفة النقد التفكيكي** (الأردن: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٩م).

٢٢. التهانوي، محمد علي الفاروقي، **سبق الغايات في نسق الآيات** (دلهي: المطبع المجتبائي، ط١، ١٣١٦هـ).

٢٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **جواب أهل العلم والإيمان، بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٧٤م).

٢٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٣٩٩هـ).

٢٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية** (مصر: دار الأنصار، ط١، ١٩٧٨م).

٢٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى** (الرياض: دار الرياض الحديثة، ط١، ١٣٩٨هـ).

٢٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق: محمود محمد نصار (مصر: مكتبة التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٨م).

٢٨. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ب.ط، ١٤٠٦هـ).

٢٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار (مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر، ط٣، ١٤٢٦هـ).

٣٠. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل** (الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد ابن سعود، ط١، ١٣٩٩هـ).

٣١. تيزيني، طيب، **مقدمات أولى في الإسلام المحمدي الباكر، نشأةً وتأسيساً** (سوريا، دار دمشق، ط١، ١٩٩٤م).

٣٢. ابن الجزري، محمد بن محمد بن علي، **تقريب النشر في القراءات العشر** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨١هـ).

٣٣. ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** (بيروت: المطبعة العلمية، ب.ط، ١٤٠٠هـ).

٣٤. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، **تلبيس ابليس** (مصر: المطبعة الحيدرية، ط٣، ١٣٦٨هـ).

٣٥. الحاج، عبدالرحمن، **القرآن من تفسير النص إلى تحليل الخطاب**، دراسة نشرت بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٦م، موقع التفسير والمفسرون.

٣٦. الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد، **المستدرك على الصحيحين** (الهند: مطبعة حيدر أباد، ب.ط، ١٣٣٤هـ).

٣٧. حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والعلوم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ب.ط، ب.ت).

٣٨. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، **الإصابة في تمييز الصحابة** (مصر: مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٨هـ).

٣٩. ابن حجر، علي بن أحمد، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** (مصر: المطبعة السلفية، ب.ط، ١٣٨٠هـ).

٤٠. ابن حجر، العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (القاهرة: دار الريان، ط٢، ١٤٠٩هـ).

٤١. ابن حجر، أحمد بن علي، **لسان الميزان**، تحقيق: محمد رشا (الهند، مطبعة حيدر أباد، ب.ط، ١٣٢٩هـ).

٤٢. الحديدي، مصطفى محمد **اتجاهات التفسير في العصر الحديث من الإمام محمد عبده حتى مشروع التفسير الوسيط** (مصر: الشركة المصرية للطباعة والنشر، ب.ط، ١٣٩١هـ).

٤٣. حرب، علي، **الممنوع والممتنع** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٥م).

٤٤. حرب، علي، **النص والحقيقة** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٥م).

٤٥. حرب، علي، **نقد الحقيقة** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٣م).

٤٦. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** (مصر: مكتبة الخانجي، ب.ط، ٢٠١٠م).

٤٧. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، **النبذة الكافية في أحكام أصول الدين**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥هـ).

٤٨. حسن، عثمان بن علي، **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة** (الرياض: مكتبة الرشد، ط٤، ١٤١٨هـ).

٤٩. حسيبة، مصطفى، **المعجم الفلسفي** (الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م).

٥٠. حمودة، عبد العزيز، **الخروج من التيه، دراسة نقدية في سلطة النص**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٩٨ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ٢٠٠٣م).

٥١. حمودة، عبد العزيز، **المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٢ (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ٢٠٠١م).

٥٢. حمودة، عبد العزيز، **المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيكية**، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٢ (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ١٩٩٨م).

٥٣. ابن حنبل، أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد** (بيروت: المكتب الإسلامي، ب.ط، ب.ت).

٥٤. حنفي، حسن، **التراث والتجديد** (بيروت: المؤسسة الجامعية، ط٤، ١٤١٢هـ).

٥٥. أبو حيان، محمد بن يوسف، **تفسير البحر المحيط (التفسير الكبير)** (الرياض: مكتبة ومطابع النهضة الحديثة، د.ط، د.ت).

٥٦. الخطابي، حمد بن محمد، **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري** (مكة المكرمة: مركز إحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٨م).

٥٧. ٥٦. الخطابي، حمد بن محمد، **العزلة** (القاهرة: السلفية، ب.ط، ١٣٨٥هـ).

٥٨. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، **تاريخ بغداد** (مصر: دار السعادة، ب.ط، ١٣٤٩هـ).

٥٩. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، **الفقيه والمتفقه** (بيروت: دار إحياء السنة، ب.ط، ١٩٧٥م).

٦٠. خليل، إبراهيم، **في النقد والنقد الألسني، دراسات نقدية** (الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٢م).

٦١. الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، ب.ت).

٦٢. خلف الله، محمد أحمد، **الفن القصصي في القرآن الكريم** (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٧م).

٦٣. الخطيبي، عبد الكبير، **الاسم العربي الجريح** (بيروت: دار العودة، ط١، ١٩٨٠م).

٦٤. الخطيبي، عبد الكبير، **في الكتابة والتجربة**، ترجمة: محمد برادة (بيروت: دار العودة، ب.ط، ١٩٨٠م).

٦٥. الخطيبي، عبد الكبير، **المغرب أفقاً للفكر**، ترجمة: أدونيس (المغرب: مجلة الأزمنة الحديثة، العدد ٩، ٢٠١٥م).

٦٦. الخطيبي، عبد الكبير، **النقد المزدوج** (بيروت: دار العودة، ب.ط، ١٩٨٠م).

٦٧. دريدا، جاك، **البنية، العلامة، اللعب، في خطاب العلوم الإنسانية**، ترجمة: جابر عصفور (القاهرة: مجلة فصول، مجلد ١١، العدد ٤، ١٩٩٣م).

٦٨. ديريدا، جاك، **الكتابة والاختلاف**، ترجمة: كاظم جهاد، (المغرب: دار توبقال للنشر، ط٢، ٢٠٠٠م).

٦٩. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرنؤط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٢م).

٧٠. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** (الرياض: عالم الكتب، ب.ط، ٢٠٠٣م).

٧١. الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون** (القاهرة: دار الحديث، ب.ط، ٢٠٠٥م).

٧٢. راي، وليم، **المعنى الادبي – من الظاهراتية الى التفكيكية**، ترجمت: يونيل يوسف عزيز، (بغداد: دار المأمون، ط١، ١٩٨٧م).

٧٣. رضا، محمد رشيد، **مجلة المنار** (مصر: مطبعة المنار، ١٣١٥-١٣١٦هـ).

٧٤. الرفاعي، أحمد، **البرهان المؤيد** (حلب: مكتبة ربيع، ط٢، ١٣٨٢هـ).

٧٥. الرويلي، ميجان، البازعي، سعد، **دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً** (المغرب: المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٢م).

٧٦. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، **معاني القرآن وإعرابه** (بيروت: المطبعة العصرية، ب.ط، ب.ت).

٧٧. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن** (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، ب.ت).

٧٨. الزرقاني، محمد عبدالعظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ).

٧٩. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن** (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ب.ط، ١٣٩١).

٨٠. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ).

٨١. الزركلي، خير الدين، **الأعلام** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ب.ت).

٨٢. الزمخشري، محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ب.ط، ب.ت).

٨٣. أبو زيد، محمد، **الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ب.ط، ١٣٤٩هـ).

٨٤. الزيدي، توفيق، **أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث** (تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م).

٨٥. سال، جرجيس، **مقالة في الإسلام**، ترجمة: هاشم العربي (القاهرة: المطبعة الإنجليزية الأمريكانية ببولاق، ط٣، ١٩١٣م).

٨٦. السبكي، عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محمد، عبد الفتاح الحلو (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٤م).

٨٧. ستروك، جون، **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، ترجمة: محمد عصفور، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والأداب، ١٩٩٦م).

٨٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ).

٨٩. سعيد، إدوارد، **الاستشراق**، ترجمة: كمال أبوديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط٧، ٢٠٠٥م).

٩٠. سعيد، جلال الدين، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية** (تونس: دار الجنوب للنشر، ب.ط، ٢٠٠٤م).

٩١. السفاريني، أحمد بن سالم الحنبلي، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية** (دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٩٨٢م).

٩٢. سلطان، جمال، **دفاع عن ثقافتنا** (الرياض، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ).

٩٣. ابن السني، أحمد بن محمد بن إسحاق، **عمل اليوم والليلة** (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ب.ط، ب.ت).

٩٤. السيد، غسان، **التفكيكية والنقد العربي الحديث**، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب (دمشق، العدد ٤٢٦، تشرين الأول ٢٠٠٦م).

٩٥. السيوطي، جلال الدين، **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

٩٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن** (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ب.ط، ب.ت).

٩٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل نعيم، (بيروت: شركة ابناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف القطرية، ١٤٢٩هـ).

٩٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات الحفاظ** (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣م).

٩٩. أبو شادي، أحمد زكي، **ثورة الإسلام** (بيروت: مكتبة دار الحياة للطباعة والنشر، ب.ط، ١٩٧٠م).

١٠٠. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (القاهرة: دار ابن عفان للنشر، ط١، ١٤١٧هـ).

١٠١. شاكر، أحمد محمد، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير** (مصر: دار المعارف، ب.ط، ١٣٧٦هـ).

١٠٢. شحرور، محمد، **الكتاب والقرآن قراءة معاصرة** (سوريا، مطبعة الأهالي للنشر والتوزيع، ب.ط، ب.ت).

١٠٣. الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير** (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ب.ت).

١٠٤. الشرفي، عبد المجيد، **الإسلام بين الرسالة والتاريخ** (بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠٠٨م).

١٠٥. الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (مصر: مطبعة المدني، د.ط، ١٣٨٦هـ).

١٠٦. الشنقيطي، محمد الأمين، **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر** (مكة المكرمة: عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ).

١٠٧. الشنقيطي، محمد الأمين، **نثر الورود شرح مراقي السعود** تحقيق: علي بن العمران، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ).

١٠٨. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ب.ط، ١٣٥١هـ).

١٠٩. صالح، هاشم، **الإسلام والإنغلاق اللاهوتي** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠م).

١١٠. صبري، مصطفى، **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠١هـ).

١١١. الصديقي، يوسف محمود، **أسس اليقين بين الفكر الديني والفلسفي** (الدوحة: دار الحكمة، ط١، ١٩٩٣م).

١١٢. الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي (العراق: دار إحياء التراث الإسلامي، ط٢، ب.ت).

١١٣. الطبرسي، حسين بن محمد النوري، **فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب** (إيران: دار الكتاب للطباعة والنشر، ب.ط، ١٢٩٨هـ).

١١٤. الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ).

١١٥. طرابيشي، جورج، **معجم الفلاسفة، الفلاسفة، المناطقة، المتكلمون، اللاهوتيون، المتصوفون** (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٣، ٢٠٠٦م).

١١٦. طه، حسين، **في الشعر الجاهلي** (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م).

١١٧. طه، حسين، **مستقبل الثقافة في مصر** (مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ب.ط، ٢٠١٢م).

١١٨. الطيار، أحمد عبدالله، **تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد** حولية كلية – أصول الدين القاهرة (المجلد الثالث، العدد (٢٢)، ٢٠٠٥م).

١١٩. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، **رد المحتار على الدر المختار شرح متن نتوير الأبصار** (مصر: مطبعة بولاق، ب.ط، ١٢٧٢هـ).

١٢٠. ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ب.ط، ١٩٨٤م).

١٢١. العاني، شجاع مسلم، **المغايرة والإختلاف، دراسة في التفكيك** مجلة علامات في النقد (جدة: مجلد١٠، العدد٤٠، ٢٠٠١م).

١٢٢. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، **جامع بيان العلم وفضله** (بيروت: دار الكتب اللعلمية، ب.ط، ١٩٧٨م).

١٢٣. عبد الحميد، علي عبد الواحد، **النظرية التفكيكية نظرة عن قرب** (مصر: معهد الدراسات في جامعة القاهرة، ٢٠١١م).

١٢٤. عبد الرازق، علي، **الإسلام وأصول الحكم** (مصر: مطبعة مصر، ب.ط، ١٣٤٤هـ).

١٢٥. ابن العربي، محمد بن عبد الله، **أحكام القرآن**، تحقيق: علي محمد (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ب.ت).

١٢٦. عرجون، محمد الصادق، **نحو منهج لتفسير القرآن** (السعودية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ٣١، ١٣٩٩هـ).

١٢٧. عطية، أحمد عبد الحليم، **جاك دريدا والتفكيك** (بيروت: دار الفارابي، ط١، ٢٠١٠م).

١٢٨. ابن عطية، محمد أحمد محمد، **طه حسين والنظر الاستشرافي** (قطر: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، ط١، ١٤٣٥هـ).

١٢٩. العقل، ناصر بن عبد الكريم، **المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية**، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ).

١٣٠. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** (بيروت: دار المسيرة، ط٢، ١٩٧٩م).

١٣١. عمر، أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م).

١٣٢. عناني، محمد، **المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي – عربي** (القاهرة: دار نوبار للطباعة، ط٣، ٢٠٠٣م).

١٣٣. ابن عياض، عياض بن موسى، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عامر الجزار (القاهرة: دار الحديث، ب.ط، ١٤٢٥هـ).

١٣٤. الغذامي، عبد الله محمد، **تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة** (بيروت: دار الطليعة، ط١، ١٩٨٧م).

١٣٥. الغذامي، عبد الله، **الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، نظرية وتطبيق** بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٦، ٢٠٠٦م).

١٣٦. الغزالي، محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين** (مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ب.ط، ١٩٣٩م).

١٣٧. الغمراوي، محمد أحمد، **النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي** (القاهرة: المطبعة السلفية ومكتباتها، ب.ط، ١٩٢٩م).

١٣٨. الفراء، يحيى بن زياد بن منظور، **معاني القرآن** (مصر: دار المعرفة، ب.ط، ب.ت).

١٣٩. فضل، صلاح، **الأساليب الشعرية المعاصرة** (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٤م).

١٤٠. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن** (مصر: دار التراث، ط٢، ١٣٩٣هـ).

١٤١. ابن قدامة، عبد الله المقدسي، **لمعة الإعتقاد** (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٤، ١٣٩٥هـ).

١٤٢. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، **المغني** (الرياض: المكتبة السلفية، ب.ط، ب.ت).

١٤٣. القرشي، عبد القادر، **الجواهر المضية في تراجم السادة الحنفية** (الهند: مطبعة حيدر أباد، ب.ط، ١٣٣٢هـ).

١٤٤. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ).

١٤٥. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن** (مصر: دار الكتب، ط٣، ١٣٨٦هـ).

١٤٦. قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط١٥، ١٤٠٨هـ).

١٤٧. قطوس، بسام، **استراتيجيات القراءة، التأصيل والإجراء النقدي** (الأردن: دار الكندي، ط١، ١٩٩٨م).

١٤٨. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين** (بيروت: دار الفكر، ب.ط، ب.ت).

١٤٩. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد (بيروت: دار المعرفة، ب.ط، ب.ت).

١٥٠. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد العدوي، أشرف أحمد (مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ).

١٥١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، تحقيق: زائد أحمد النشيري (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٨هـ).

١٥٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، (الرياض: دار العامصة، ط١، ١٤٠٨هـ).

١٥٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، **طريق الهجرتين وباب السعادتين** (القاهرة: المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٤هـ).

١٥٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** (بيروت: دار الكتب العلمية، ب.ط، ب.ت).

١٥٥. كارتييه، ريمون، **الحرب العالمية الثانية**، ترجمة: سهيل سماحة، انطوان مسعود (بيروت: مؤسسة نوفل، ط٢، ١٩٨٣م).

١٥٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ).

١٥٧. الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، **الكافي** (طهران: دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ).

١٥٨. كوفمان، سارة، لابورت، ورجي، **مدخل إلى فلسفة جاك دريدا تفكيك الميتافيزيقا واستحضار الأثر**، ترجمة: ادريس كثير، عز الدين الخطابي (المغرب: افريقيا الشرق، ط٢، ١٩٩١م).

١٥٩. لوبون، غوتساف، **كتاب السنن النفسية لتطور الأمم**، ترجمة: عادل زعيتر، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٤م).

١٦٠. مسلم، الحجاج، **صحيح مسلم** (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط٣، ١٣٧٤هـ).

١٦١. مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص** (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥م).

١٦٢. المقري، هبة الله بن سلامة، **الناسخ والمنسوخ** (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٨).

١٦٣. المطيعي، محمد بخيت، **حقيقة الإسلام وأصول الحكم** (القاهرة، المطبعة السلفية، ب.ط، ١٣٤٤هـ).

١٦٤. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب** (بيروت: دار المعرفة، ب.ط، ١٣٩٩هـ).

١٦٥. المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، القاهرة: دار الشرق، ط١، ١٩٩٩م).

١٦٦. ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط١، ب.ت).

١٦٧. الناصر، محمد حامد، **العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب** (الرياض: مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٧هـ).

١٦٨. نصار، محمد حسين، ومجموعة من العلماء، **الموسوعة العربية الميسرة** (بيروت: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٣١هـ).

١٦٩. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، **حلية الأولياء** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٨٧هـ).

١٧٠. النووي، يحيى بن شرف الحزامي، **الأذكار** (دمشق: مطبعة الملاح، ب.ط، ١٣٩١م).

١٧١. ابن هبيرة، يحي بن محمد، **الإفصاح عن معاني الصحاح** (الرياض: المكتبة السعدية، ب.ط، ب.ت).

١٧٢. هرماس، عبد الرزاق، **مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن**، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (الكويت، العدد ٣٨، ١٩٩٩م).

١٧٣. الهيثمي، علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٦٧م).

١٧٤. الواحدي، علي بن أحمد، **أسباب النزول**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (الدمام: دار الاصلاح، ط٢، ١٤١٢هـ).

١٧٥. الواحدي، علي بن أحمد، **التفسير البسيط**، تحقيق: محمد بن صالح الفوزان (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ب.ط، ١٤٣٠هـ).